رحلات المستشرقين

مصدراً من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين[1]

علي بن إبراهيم النملة

مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية

مج ١، ع ١، المحرم - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / يونيو - ديسمبر ١٩٩٥م





رحلات المستشرقين
مصدراً من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين[1]

علي بن إبراهيم النملة

«إن القارئ العربي كثيرًا ما تعتريه حالة من الريبة والشك حيال كتابات الغربيين عن العرب، وهي حالة مع منافاتها للحكمة العربية القديمة: (الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها)، لا تتفق مع المنطق القويم في شيء، فالحق يجب قبوله، أيًا كان مصدره، والباطل لا يتوقف رفضه على معرفة مصدره، وأولئك – بحكم بعدهم عنا، وجهلهم لأحوالنا في الماضي– تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطأ، لا ينبغي أن تكون حائلًا بيننا وبين المعرفة، بل الأجدر بها أن تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة كل ما يكتب، عن بلادنا وتاريخها، لتقبل الحق وتنتفع به، وتنفي الزيف وتأباه. ثم الكمال – من قبل ومن بعد – لمن له الكمال»[2].

حمد الجاسر

أولاً- المقدمة :

المعلومات عن الإسلام والمسلمين تمتد زمانيًا إلى ألف وأربع مئة سنة وتزيد، كما تمتد مكانيًا فتشمل العالم القديم والحديث على حدٍّ سواء، وإن كان منشأ المعلومات قد انبعث من مكة المكرمة ثم المدينة المنورة، مع بعثة محمد ابن عبد الله – عليه الصلاة والسلام – إلى الناس كافة. وتمتد لغويًا بحيث تشمل اللغات العالمية الحية، وبعض غير الحية، وإن كانت اللغة العربية هي الأساس في نقل المعلومات الإسلامية، وبها نزل القرآن الكريم، وتحدث بها المسلمون الأوائل، ولا يزال كثير منهم يتحدث بها. وتمتد وعائيًا فتشمل الأوعية التقليدية من المخطوطات والكتب، وغير التقليدية من المطبوع وغير المطبوع.

وهي معلومات مشاعة لا يملك أحد من الناس الحجر عليها، فهي متاحة للجميع، وليس لدى المسلمين إجراءات، كهنوتية أو غير كهنوتية، تحجب معلوماتهم عن بعض منهم أو عن غيرهم. ومن أجل هذا كان الاشتغال بعلوم

المسلمين الأصلية والفرعية متاحًا للمسلمين ولغيرهم.

وقد اصطلح على تسمية المشتغلين بعلوم المسلمين من غير المسلمين بالمستشرقين، وهو اصطلاح لا يقتصر على المشتغلين بعلوم المسلمين من غير المسلمين، بل إن أصل إطلاقه كان، ولا يزال، يشمل المشتغلين بالشرق من غير الشرقيين، على ما سيأتي بيانه.

والحديث عن الاستشراق والمستشرقين حديث لا يخلو، غالبًا، من تدخل الهوى وسيطرة العاطفة على المنتمين إلى الثقافة التي يتحدث عنها المستشرقون، ذلك أن الاستشراق يطرق موضوعات ذات صلة قوية بالمبادئ والمثل التي تقوم على الدين ثقافةً وفكرًا، حتى أولئك الذين لا يعطون الانتماء الديني، من أبناء الدين نفسه، اهتمامًا لا تخلو مناقشاتهم من الهوى والعاطفة، التي قد تكون على حساب الانتماء، ولمصلحة الطرف الآخر، نتيجة الانبهار بالجهود التي يقوم بها المستشرقون في دراسة الإسلام والمسلمين.

وينبغي النظر إلى الاستشراق المهتم بالإسلام[٣] على أنه ميدان واسع، طرق علماؤه مجمل فروع المعرفة الإسلامية وعلوم المسلمين بدءًا بالقرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية، وسيرة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وعلم الرجال، والفقه والعقيدة والمعاملات والظاهرات الاجتماعية في الزمن الذي مضى وفي الوقت الراهن، ولذا فإن الحديث عن ظاهرة الاستشراق، دون الغوص في جزئياتها، والتخصص في جانب محدد منها، قد تطغى عليه العموميات، ويسيطر عليه، في الغالب، التعميم في الأحكام، الأمر الذي يحتاج إلى إعادة نظر في أسلوب دراسة الاستشراق والمستشرقين، من حيث كونها ظاهرة من الظاهرات التي صحبت انتشار الإسلام وعلومه في العالم القديم والحديث.[٤]

وفي هذا يقول المستشرق "ستوري"[٥]: « إنكم في البلاد العربية تعتقدون أن جميع المستشرقين متعصبون على الإسلام. وما أرى هذا الاعتقاد صحيحًا دون قيد. نعم، إن هناك فريقًا تعصب بحكم صنعته التي يرتزق منها، ولكن هذا الفريق معروف عندنا كما هو معروف عندكم، وليس من الإنصاف أن يشمل الحكم جميع الباقين. إن الذين خدموا العربية كثيرون، وقد حاولوا أن يكونوا منصفين في أبحاثهم بقدر ما يمكن للإنسان أن يكون منصفًا»[٦].

ثانيًا - مفهوم الاستشراق :

ولست بصدد الخوض في تعريف الاستشراق والوقوف على دوافعه وأهدافه وانتماءات المستشرقين، فهذه مقدمات تحدثت عنها الدراسات العلمية المتوسعة والمتخصصة، إلا أنه يهمني أن أقرر هنا أن الاستشراق، في الجانب الذي يخدم البحوث العربية والإسلامية، هو اشتغال غير المسلمين

بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.[٧].

وليس المراد بالمستشرق -اليوم- « شخص غربي غير مسلم (من أوروبة وأمريكا) يدرس اللغة العربية وبعض وجوه الثقافة الإسلامية »، كما يشير "عمر فروخ" - رحمه الله -؛ [٨] إذ إن هذا التعريف ضيّق جداً، يُدخل الباحث في حرج، حينما يعمد هذا الباحث أو غيره إلى تصنيف غير الغربيين، ممن يدرسون الإسلام وهم لا ينتمون إليه، على أنهم مستشرقون، ولو لم يكونوا من الغرب، بما في ذلك الذين ينسلون من أصل عربي، سواء بقوا بين العرب أو انتقلوا إلى "الغرب" يعملون في مؤسساته العلمية، أو من أصبح مقامهم بين العرب ولسانهم عربياً، ولكنهم آثروا البقاء على عقيدتهم اليهودية أو النصرانية على الدخول في الإسلام. وأزعم أن هؤلاء إذا ما درسوا الإسلام من منطلق استشراقي عُدُّوا من المستشرقين، ولو لم يكونوا غربيين.

واشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم وفنونهم وأساطيرهم متاح للجميع، بل إن المجتمع المسلم في القديم والحديث مثار اهتمام كثير من الثقافات الأخرى، لما يحدثه هذا المجتمع من أثر على الحياة الاجتماعية، ليس في المجتمع المسلم فحسب، ولكن في أي مجتمع توجد به أقلية مسلمة. إلا أن اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين يفتقر إلى عامل مهم في الدراسة الموضوعية والمنهجية، وهو الانتماء لهذه الثقافة التي تنبع منها تلك العلوم والمعارف التي يدرسها غير المسلمين.

ولا يكفي، فيما يظهر لي، مجرد الإعجاب بالثقافة وبأهلها وبمنبعها، بل لا بد من الانتماء الذي يحيل هذه الدراسات إلى القبول المبدئي، ويزيل عنها عقدة الشك التي لازمت كثيراً من دراسات المستشرقين إلى درجة يتعذر معها التخلُّص منها مهما كان الأمر، إذا ما رسخ في أذهاننا أن المشتغل بهذه الدراسات لا ينتمي إليها.

وليس الانتماء مقصوداً لذاته معياراً للقبول أو الرفض؛ لأن إسهامات المنتمين لهذه الثقافة والفكر أنفسهم تخضع للرفض رغم انتمائهم لها، مع أن الأصل فيها القبول، إلا أن كونها صادرة عن بشر فهي تخضع لمقابلتها بالمعيار الذي تقاس عليه هذه الإسهامات، وهو مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم. - وهذا المعيار - كما سيأتي- ليس معتداً به لدى كثير من المستشرقين، لأنهم لا يؤمنون به، أي لا ينتمون إليه، مما يؤثر على النتائج التي يتوصلون إليها، وتكون مجالاً للتأثير على حساب المقياس الصحيح للوصول إلى النتائج.

ويقر بعض المستشرقين بهذه العقدة المتأصلة، ولذا فإنهم يعتذرون للمسلمين بلباقة أحياناً، لا سيما إذا كانوا بينهم، عن عدم قدرتهم على تحقيق الانتماء في الدراسات

الاستشراقية، ومن ثم تحقيق المعيار، لأنهم يفتقرون إليه. وفي هذا يقول المستشرق الألماني "أ. د. جريكة"[٩]: «... ومما لا ريب فيه أن النظر إلى الأشياء يختلف بين مفكر مسلم وبين مفكر لم يتخرج من مدرسة الإسلام، تلك المدرسة المتورعة المتسامحة في آن واحد. فهو رجل لا يفقه كلام الرسول إلا من سبيل الترجمة، ولا يستطيع التعبير إلا حسب منطق فكري مباين، فلا بدع إذن أن يؤدي ذلك إلى نتائج قد لا تكون نفس النتائج التي يصل إليها المفكر المسلم»[١٠].

ومثل هذا ما ينقل عن "ألفريد غيوم"[١١] قوله: «ليس هناك خطأ أكبر من خطأ بناء حقائق عامة على أساس من المعارف الناقصة أو الضعيفة، ومن لا يعيش مع العرب[١٢] لا يمكنه أن يلم الإلمام التام بأحوال وطباع ملايين المسلمين في آسيا وأفريقيا، ولا يمكنه أن يقول شيئًا صحيحًا ومؤكدًا عن المجتمعات المتفرقة هنا وهناك، فلا بد من التعايش كي يقوم أحدهم بالتعليق، أو الحديث عن الإسلام والمسلمين»[١٣].

وعن هذا الاعتذار وأمثاله يقول "محمد كرد علي"[١٤]: «ليس من المعقول أن نكلف من لم يتأدبوا بأدبنا، ولم تعمل فيهم أحاسيسنا، ولا دانوا ديننا، أن يعتقدوا ما نعتقد»[١٥] وهذا حق، فلم يطلب أحدٌ منهم ذلك، ولكن الذي يحق للمسلمين أن يطلبوه من المستشرقين وغيرهم ممن يدرسون المجتمع المسلم أو يتحدثون عنه، في مجالات خاصة أو عامة، أن يكونوا منصفين موضوعيين، ولو لم يوفّقوا إلى الحقيقة من منطلق إسلامي. وفي هذا يؤكد "محمود حمدي زقزوق" قوله: «ونحن لا نطلب من كل مستشرق أن يغير معتقده ويعتقد ما نعتقده نحن عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أوليات بديهية يتطلبها المنهج العلمي السليم. فعندما أرفض وجهة نظر معينة لا بد أن أبين للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها، ثم لي بعد ذلك أن أوافقها أو أخالفها»[١٦] والمقصود بالفهم هنا -على ما يبدو- فهم أصحابها الصحيح لها، وليس مجرد الفهم، لأن بعض أصحابها قد لا يفهمونها الفهم الصحيح؛ إذ هم ليسوا حجة في فهم وجهة النظر في كل الأحوال.

ويقول "محمد عبد الله مليباري": [١٧] «وربما اعتذر بعضهم باختلاف روح النظرة إلى كنه هذه القضايا (الإسلامية) بين المؤمن بها والمنكر الدارس للتوصل إلى حقائقها. وهو عذر وإن كان له في ميزان النقد أصالته، إلا أن التذرع به يسلب هذا المنكِر الدارس ميزة تفهم هذه القضايا وواقع ظروفها، والبينات المحيطة بها...»[١٨] ويضرب مثالاً لذلك بالمستشرقَين "يوسف شاخت"[١٩] و"هاملتون جب"[٢٠].

ثالثًا - فضل المستشرقين :

وعلينا أيضًا مواجهة الحقيقة التي مؤداها أن للمستشرقين فضلاً على تراث المسلمين،

من حيث حفظه ونشره وتحقيقه في وقت غابت فيه الدراسات "الشرقية" الجادة المنتمية التي تخدم هذا التراث، وأكاد أقول الآن إن خدمة التراث الإسلامي، أو تراث المسلمين، إذا أردنا الدقة في التعبير، لا تزال تعاني قصوراً شديداً في حدود البلاد العربية والإسلامية، مهما كثرت المؤسسات العلمية، وتعالت أصوات الغيورين على التراث.

كما أن علينا مواجهة الحقيقة التي مؤداها أن للمستشرقين عيوبًا في اهتمامهم بتراث المسلمين في مجالات التحقيق أو الدراسات المستقلة، وذلك بسبب عدم انتمائهم للثقافة التي يدرسونها ويحققون تراثها. هذا إذا تجاوزنا الدوافع والأهداف غير العلمية، وافترضنا أن المستشرقين ينطلقون من دوافع علمية موضوعية متجردة، ويهدفون إلى نتائج علمية موضوعية متجردة كذلك.[٢١]

وبين هذين الموقفين يبرز التوازن الذي يقف بين اتجاهين في النظر إلى أعمال المستشرقين. وهما اتجاهان متعاكسان، أحدهما يقبل أعمال المستشرقين على علاتها، ويرى أنها تصدر عن علمية صادقة وموضوعية متجردة، وتنظر إلى الإسلام نظرة "علمية" تختلف عن النظرة التقليدية التي ينظر فيها المسلمون إليه، وكأن أصحاب هذا التوجه بهذا يقولون صراحة: إن المستشرقين يفهمون الإسلام أفضل من فهم المسلمين السابقين واللاحقين التقليدي له. وقد قيل ذلك.

والموقف الثاني هو الموقف الرافض تماماً لأسلوب المستشرقين في دراسة التراث وتحقيقه، بل وحفظه، وأن هذا الأسلوب بدراسته للتراث يخدم أهدافًا أقل ما يمكن أن يقال عنها: إنها تعمد إلى تشويه الإسلام وأهله، ورميهم بالأصولية والتطرف ثم الإرهاب في النهاية، قصداً إلى تحجيم الدين والحد من الإقبال عليه.[٢٢]

ويمكن قبول هذا الرفض إذا كان منصباً على منهج المستشرقين في دراسة الإسلام، لا سيما أن منهج المستشرقين في المقارنة بين الأديان قام على مقياس التأثير والتأثر، « كما لو أن الأمر يدور حول شيء إنساني يخضع لهذا المقياس الإنساني، ولهذا فنحن نرفض -ومعنا كل الحق- منهج المستشرقين في دراسة الإسلام، لأنه منهج مصطنع جاء وليد اللاهوت الأوروبي، ولأنه منهج يقصر عن فهم طبيعة الأديان السماوية، ويحاول أن يضعها في صعيد واحد مع الاتجاهات الفكرية الإنسانية ».[٢٣]

رابعًا - الاستشراق المعاصر:

ويتكئ الاستشراق المعاصر على الاستشراق القديم، ولا يستطيع الفكاك منه، مع أن هناك محاولات جادة من بعض المستشرقين المعاصرين لتحسين صورة الاستشراق لدى العلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين، وتأكيدهم على النظرة المعاصرة للإسلام، بعيداً عن التأثيرات الاستشراقية

القديمة التي اتسمت بالهجوم المباشر على الإسلام والمسلمين من ناحية، وإبراز الجهود العلمية القديمة التي أسهم بها المستشرقون إيجابًا من ناحية أخرى، مثل "جون إسبوزيتو"[٢٤] أحد تلامذة الأستاذ "إسماعيل الفاروقي"[٢٥] - رحمه الله -، فهو يحاول "الانسلاخ" من الاستشراق القديم، حتى إنه ليكاد يخرج نفسه من المصطلح، فهو قد لا يرضى أن يقال عنه إنه مستشرق، ويفضل أن يقال عنه إنه عالم إسلاميات (Islamist)، ولا يفضل أن يطلق عليه مصطلح (Orientalist)، بل إنه ذكر لي أنه "يكره هذا الإطلاق".[٢٦]

مع هذا فإن معظم المستشرقين المعاصرين لا يستطيعون النظر إلى أقرانهم القدماء إلا نظرتهم إلى الرواد في هذا المجال، وإن لم يقبلوا جميع ما جاء به معظم المستشرقين القدماء؛ ذلك أن ما جاء به القدماء من التصورات كانت تخاطب عقلية أخرى وتقدم لها تصورات تناسبها « وربما تكون بعض هذه التصورات الغربية عن الإسلام ونبيه -عليه الصلاة والسلام- قد دخلت إلى عالم النسيان، وعفا عليها الزمن، لا سيما ما يتعلق منها بأساطير العصور الوسطى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكنها مع ذلك لا تزال، وستظل، جزءًا أساسيًا من تراث الغربيين لا بد لنا من الاطلاع عليه ومعرفته »، كما يشير "محمود حمدي زقزوق" في مقدمته لترجمة كتاب سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تصورات الغربيين لغوستاف بفانملر.[٢٧]

ويقول "وليد نويهض": « لم تهدأ حركة الاستشراق ثأريًا (كمنهج فكري) إلا في مرحلة تراجع المسلمين، وبداية اقتحام أوروبا معاقلهم وديارهم. في هذه الفترة دخل الاستشراق مرحلة جديدة وانتقل من الثأر والانتقام إلى الاستيلاء والغلبة، وأخذ ينظر إلى المسلمين من عدو تاريخي (الند للند) إلى عدو دوني أقل رقيًا وتقدمًا من أوروبا ....».[٢٨]

ولذا لا يستغرب أن "يستفظع" المستشرق الرحالة، من منطلق التعالي على الشرق، الممارسات التي يقوم بها أهل الشرق في عاداتهم وتقاليدهم وأنماط السلوكيات عندهم في الأكل والشرب واللباس وغيرها. وقد كان "هاري سانت جون فيلبي" يعشق هذه الطريقة ويتمثلها في حياته عندما كان يجوب المنطقة مع المستشرق البريطاني الكولونيل "كاتليف أوين" الذي كان يحتقر هذه السلوكيات، ولا يريد من "فيلبي" أن يتمثلها، ولكن "فيلبي" يتجاهله ويعامله « كما يعامل المستشرقون رجال البادية: التجاهل أنهم في الوجود».[٢٩] وعلى طريقة أحدهم في الرد على أحد رجال البادية بعد أشهر من الصحبة: «إنني لم أسمع جيدًا ماذا قلت، ولكني لا أوافق معك في أي حال».[٣٠]

ونعود إلى "وليد نويهض" حيث يقول: « لا شك نجح تحديث الاستشراق في فترة تحوله من حركة سياسية ثأرية إلى حركة معرفية عقلية في التخلص من الكثير من الفرضيات

والافتراءات والأوهام السابقة، فقد اعتمد الاستشراق السابق على نقل الأخبار من الشرق عن طريق الحجاج المسيحيين بعد عودتهم من زيارة الأراضي المقدسة (في فلسطين). أما الاستشراق المعاصر فقد انتقل إلى العقل والنقد من دون أن يتخلص نهائيًا من جوهر المرحلة السابقة، لكنه بدأ بالاعتماد مباشرة على الرحلات والاحتكاك والاستطلاع. مع ذلك لا يمكن القطع نهائيًا بين نشاط الرحالة وتمويل المؤسسات الحاكمة أو الناشئة آنذاك في أوروبا المتطلعة للسيطرة على طرق المواصلات وشبكة التجارة والمعابر البحرية. وتركز النشاط الاستشراقي سابقًا في فئة النبلاء التي كانت تملك الإمكانات لتمويل الرحلات، ثم انتقل إلى فئات التجار وأخيرًا الشركات».[٣١]

ولا يقف الأمر عند الاتكاء على جهود الأقدمين فقط، ولكن الاعتراف بفضل الرواد يسوق-دون قصد أحيانًا- إلى محاولة تبني وجهات نظرهم مع شيء من التحقق والتحقيق. ولا يزال الاستشراق المعاصر بحاجة إلى أن يثبت جديته في نظرته العلمية إلى علوم المسلمين. وإني أشك في موضوعيته وتجرده، لا سيما في ظل التطورات الحديثة القائمة التي تشهدها الساحة الإسلامية داخل ما نسميه اليوم بالعالم الإسلامي وخارجه، والشعور الغربي أن الإسلام بدأ يشكل خطرًا على الحضارة الغربية، وأنه قد يكون "العدو الجديد"، بعد أن تخلص الغرب من "العدو التقليدي في هذا القرن من الزمان بتفتيت الاتحاد السوفيتي، وتفكيكه، وإحداث المشكلات داخل الجسم المتفكك.

وفي هذا السياق يؤكد "إدوارد سعيد،"[٣٢] - وهو من أبرز من حمل على الاستشراق والمستشرقين، رغم افتقاره إلى الانتماء إلى الثقافة الإسلامية التي تحامل عليها الاستشراق والمستشرقون، بل إنه ينتمي إلى الثقافة التي انطلق منها المستشرقون أنفسهم- يؤكد على أن « الاستشراق المعاصر يعلمنا الكثير الكثير عن عدم الأمانة الفكرية الناتج من المراءاة بهذا الخصوص، والذي تكون نتيجته زيادة الانقسامات حدة وتوترًا، وجعلها أثيمة ودائمة في آن واحد».[٣٣]

ولو وفق عمل إدوارد سعيد هذا- وقد صدر أصلاً باللغة الإنجليزية- إلى ترجمة جيدة إلى اللغة العربية لكان له تأثير أقوى مما هو عليه الآن، ولكن أسلوب الترجمة تعمد الدخول في متاهات التعبير والأسلوب الغريب أضاعت كثيرًا من القدرة على متابعة أفكار الكاتب الأصلي في هذا العمل القيم، وإن ادُّعي المترجم صعوبة الأسلوب الذي اتبعه "إدوارد سعيد" في النسخة الأصل، إلا أن هذه الصعوبة في الأصل الإنجليزي لم تمنع بعض الدارسين العرب من الرجوع إلى النسخة الإنجليزية رغم توافر النسخة العربية.

ومن المهم أن يذكر هنا أن عمل "إدوارد سعيد "هذا لم يلق قبولاً لدى بعض

المستشرقين والمفكرين العرب. وقد تعرض للنقد في الصحافة وفي بعض الكتابات العلمية، مما يجعل أحكامه أكثر قابلية للوزن بالميزان العلمي الدقيق. ولا يعني موافقتها لهوًى في أنفسنا أن نقبلها على علاتها.(٣٤)

والمجال هنا ليس يهدف إلى تتبُّع الأفكار التي تضمنها كتاب (الاستشراق)، ثم الوقوف معها وقفات نقدية، فقد قام بهذا الجهد من هم أقرب إلى مجالات النقد.(٣٥)

خامسًا - الحكم المسبق :

ومن مشكلات بعض الدراسات الاستشراقية أنها تبني النظرية حول سلوك ما أو ممارسة من الممارسات، ثم تسعى إلى إيجاد الأدلة أو المثبتات لهذه النظرية. وتقوم هذه النظريات غالبًا على رؤًى مرسومة سلفًا. وفي هذا يقول "أبو الحسن علي الحسني الندوي"(٣٦): «ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع المعلومات -من كل رطب ويابس- ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم».(٣٧) وقبل هذا يقول: «ورغم الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يمنعني شيء في هذا المجلس الموقر أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامي وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية».(٣٨)

ولا يظهر أن "الندوي" يقصد أن هناك ضعفًا أو مواضع ضعف في الشريعة الإسلامية نفسها، بقدر ما يتطرق الضعف للممارسات والتطبيق لدى المسلمين أنفسهم، الأمر الذي ينبثق عنه حكم خاطئ على الإسلام نفسه.

ومثل هذا القول حول الافتراضات وبناء الاستنتاجات عليها قول "وليد نويهض": «... تمَّ إلحاق بعض نشطاء الرحالة بالمؤسسات التي كانت تريد أن تتعرف على أحوال وعادات وتقاليد الشعوب من خلال تقارير الرحالة والمبشرين. وهو أمر أملى بعض الاجتهادات الاستشراقية الحديثة أن تكون في موقع غير قادر على التخلص كليًا من العقلية الثأرية السابقة، فانتقلت إليها العديد من الهواجس والأفكار الاستعلائية والعنصرية إلى التشكيك بنبوة الرسول والافتراء على سيرته، وتأويل النصوص كيفيًا، وأحيانًا تحريفها إما بسبب قلة المعرفة، أو انطلاقًا من فرضيات استنتاجية...».(٣٩)

ومثل هذا القول، أيضًا، ما يذكره "إبراهيم عبد الكريم" الذي درس الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، حيث يقول: «يوضح

استعراض الأبحاث الاستشراقية الإسرائيلية أن قسمًا كبيرًا منها كان يصدر عن مفاهيم ورؤى متقاربة تتخللها أحكام مسبقة، وتشيع فيها الصور النمطية والقولبة. ومعروف أن الأحكام المسبقة هي أحكام متسرعة تصدر قبل أوانها، تستبق الأمور، وتبنى على التكهن، فتصل إلى النتيجة قبل تفحُّص الموضوع، وقبل تقليب جوانبه على النحو الكافي».[٤٠]

سادسًا - المستشرقون الرحالة :

ومن المستشرقين الذين يهمنا أمرهم في هذه الوقفة المستشرقون الرحالة الذين كان لهم فضل في الكشف عن جوانب كثيرة من الحياة في الشرق، سجلوها ووثقوها، وأضحت أعمالهم هذه بعد ذلك مصادر معلومات عن هذه البقعة الكبيرة من العالم المعاصر، لا يستغنى عنها باحث في التاريخ والجغرافيا والاجتماع والأنثروبولوجيا. ومن أبرز هذه الأعمال، فيما يتعلق بالجزيرة العربية، (دليل الخليج) بإشراف "ج. ج. لوريمر"[٤١] في أربعة عشر [١٤] مجلدًا، للتاريخ سبعة أجزاء، وللجغرافيا سبعة أخرى، وترجمه قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، وطبع على نفقة الشيخ خليفة ابن حمد آل ثاني أمير قطر، وصدر عن مطابع علي بن علي بالدوحة في قطر.[٤٢]

ومثلها وإن لم تكن في حجمها مذكرات "وليم جيفرد بلغريف" وعنوانها (قصة رحلة إلى وسط وشرق الجزيرة العربية)، وهي مليئة بالوصف والانطباعات عن وسط الجزيرة العربية وشرقها وعادات أهلها وتقاليدهم.[٤٣]

وكذلك رحلة الليدي "آن بلنت" إلى وسط الجزيرة العربية، وقد صحبت زوجها إلى المنطقة وعايشت الناس وأخذت عنهم كثيرًا مما سطرته في مذكراتها.[٤٤]

وكتب الكابتن "ج. فورستر سادلير" كتابه (رحلة عبر الجزيرة العربية خلال ١٨١٩)،[٤٥] وغيرها كثير مما سجل انطباعات عُدّت مصادر اعتمد عليها من أتى بعدهم من الباحثين المستشرقين وغيرهم.

ومن المهم التأكيد على أن الرحالة الذين زاروا المنطقة العربية والإسلامية لم يكونوا بالضرورة جميعًا من المستشرقين، بالتعريف الدقيق لهذا المصطلح؛ إذ إن من هؤلاء الرحالة السياسيين والأطباء والمستكشفين الجغرافيين والمنصرين، وأولئك الذين "عشقوا" الشرق فقصدوه للتعرُّف عليه وعلى أهله. وفي هذا يقول "ريتشارد ترينش" عن طبيعة أغراض الرحالة، ومحاولات بعضهم تصحيح الجهل الأوربي بالشرق أنه كان عليهم « أن ينتصروا على أنفسهم، فالقلة منهم كانت نخبة حقيقية، أما الباقون فكانوا إمبرياليين أو مدنّسين أو مغامرين أو وصوليين أو جواسيس أو بحاثة عاديين».[٤٦]

ومع هذا سأفترض تجوُّزًا أن من طرق أبواب الشرق وكتب عنه يدخل ابتداءً بالمفهوم العام لمصطلح الاستشراق، لا سيما إذا صبغت هذه الانطباعات بالصبغة العلمية،

وخرجت عن مجرد كونها مقالة عابرة أو تقرير سريع يلحق في بعض الصحف السيارة. هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الرحالة قد خلفوا وراءهم "أدبًا" يستفاد منه كثيرًا في التعرف على الأماكن والعادات والتقاليد والأعراف، يتعارف عليه الآن بأدب الرحلات، ويعد هذا الأدب مصدرًا من مصادر المعلومات لدى المستشرقين، وفي هذا مارس الرحالة «دور الإثارة ودغدغة الخيال ونسج الكلام الأسطوري حول مغامراتهم. وشكلت تقاريرهم ورواياتهم (أدب الرحلات) خطوة متقدمة عن الفترة الأولى [بعثات الحجاج المسيحية إلى الأراضي المقدسة في فلسطين]؛ إذ تم الاحتكاك المباشر عن طريق المعايشة، لا عن طريق تسقُّط الأخبار من العائدين من بعثات الحج كما كان يحصل في السابق».(٤٧)

ويؤيد هذا الافتراض تأكيد "حمد الجاسر" على أن الرحالة يعدُّون من المستشرقين؛ إذ يقسمهم إلى فئتين: فئة « عُنيت بنشر المؤلفات القديمة، ومنها ما يتعلق بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم ... [و] فئة الرواد من العلماء والمغامرين الغربيين، الذين كشفوا كثيرًا من معالم جزيرة العرب وآثارها، وعرفوا المجهول من مختلف أخبارها وأحوالها، بعد أن جاسوا صحاريها، واخترقوا فيافيها وقفارها، ووصلوا إلى أصقاعها النائية، وتوغلوا في مجاهلها، مدفوعين بدوافع مختلفة، مستهينين في سبيل ذلك بجميع الأخطار والصعوبات ...».(٤٨)

وليس الغرض هنا استعراض الرحلات جميعها، فهي تستحق العرض المستقل، ولكن الغرض أخذ عينات من إسهامات المستشرقين الرحالة، مع الاعتراف بما قاموا به من جهود علمية، وتقدير ما تعرضوا له من صعوبات.

ومع التأكيد على عدم التعميم في الانطباعات التي خرجت من بعضهم، بل إن رحلاتهم إلى جزيرة العرب وحدها قد أبرزت أسماء لامعة في أدب الرحلات قد جرى استعراضها في مصادر المعلومات عن الرحلات إلى جزيرة العرب، وقد جرى ذكر بعض من هذه المصادر في ثنايا هذه الدراسة.(٤٩)

والمهم هنا أن هؤلاء الرحالة قد رسموا صورًا عن المجتمع العربي كونتها الانطباعات التي مرت عليهم وهم في مهماتهم المختلفة، أرادوا منها أن يطلعوا قومهم على هذا المجتمع بنيات وأهداف وغايات مختلفة. وهناك من جمع هذه الانطباعات بغض النظر عن انتماءات أصحابها ومهماتهم التي عاشوا في المنطقة من أجلها.(٥٠)

وهناك من قدم إلى الشرق بانطباعات مسبقة لم يتمكنوا من التخلص منها إلا بعد أن عايشوا الشرق وأهله، وتعرفوا عن كثب على الدين الذي يدينون به، فمنهم من قبله واعتنقه، ومنهم من احترمه وأكبر معتنقيه، ومنهم من زاد كرهه له وأهله، لأسباب منها عدم قدرة أهله على تمثله بحق، ومنهم من أراد استغلال

الإسلام مطية لتحقيق أغراض جاء من أجلها، إلا أنهم لم يملكوا جميعًا إلا أن يعجبوا بالشرق وأهله. يقول "ريتشارد ترينش":

«... أكثرية هؤلاء جاءوا وهم يحملون الكره للإسلام، وجاء آخرون يدّعون أنهم أبناء الإسلام، أما الباقون فجاءوا وفي نيتهم أن يستغلوا الإسلام. لكن أحدًا منهم لم يغادر هذه الأرض إلا وهو يكنُّ للإسلام احترامًا عميقًا إلى أبعد الحدود. والبعض أشهر إسلامه. أما أولئك الذين لم يتغيروا بعد هذه التجربة العميقة فقد ماتوا بأيديهم. على أن ما كان يجمعهم كلهم هو ذلك الهوس بالجزيرة العربية وبالبدو وبحياة البداوة وبأنفسهم».(٥١)

والمعروف أن للمستكشفين الجغرافيين أثرًا بارزًا في الكشف عن مواطن كثيرة تبنت الكشف عنها الحكومات الغربية ودعمت رحلاتها، وكانت بحق دليلا للحملات الاستعمارية والتنصيرية التي تلت هذه الاستكشافات، حتى عدت إحدى الوسائل المعينة على التنصير.(٥٢) ولجاكلين بيرين كتاب (اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم)، (٥٣) وأن تتصدر كلمة المغامرة عنوان الكتاب فهذا دليل على ما اكتنف هذه الرحلات من المخاطرة والرغبة في خوض عالم كان مجهولاً لدى الآخرين.

ولا يمكن أن يستبعد الدافع التنصيري من رحلات المستشرقين والمستكشفين، ويُرجع هذا للسبب التاريخي الذي يزعم أن للمسيح -عليه السلام- « الحق في استرجاع الجزيرة العربية التي أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها».(٥٤) كما يقول المنصّر والمستشرق الأمريكي "صموئيل زويمر."(٥٥)

سابعًا - المعيار :

وإذا كان من حق أي إنسان أن يفد إلى أي مجتمع من مجتمعات المسلمين وغير المسلمين، ويكتب عنها، فإنه ليس من حقه أن يجعل من المجتمع الصغير، داخل المجتمع المسلم الكبير، الذي يكتب عنه مقياسًا للمجتمع المسلم كله، ناهيك عن أن يكون هذا المجتمع الصغير نمطًا أو نموذجًا يقاس به الإسلام نفسه، ذلك أننا نؤمن أن الإسلام نفسه حجة على الناس أفرادًا وجماعات، وليس العكس. وهنا تكمن الخطورة في الحكم على الإسلام من منظور ضيق وأخلاقيات أو عادات أو ممارسات اتسم بها مجتمع صغير، قد يكون مفرّطًا في تعاليم الإسلام أو مفرطًا فيها. وهذا يعني أنه ينبغي على من يسعى إلى جعل المجتمع مقياسًا لمدى تمسك أهله بدينهم ومبادئهم ومثلهم أن يتعرف على الدين بمبادئه ومثله.

وقد يكون للناقد الحق في نقد المجتمع المسلم، إذا لم يربط هذا النقد بالدين ويعيد السلبيات التي يراها إلى ارتباط أهلها بالنظام

الاجتماعي أو السياسي الإسلامي، وعندها يحتاج إلى معيار تقاس عليه ممارسات أي مجتمع يؤمن بالأساس الذي نبع منه المعيار، أو اشتق منه، مثل السلوكيات المحلية، أو ماتمليه أعراف القبيلة أو ما خلفته ثقافة دخيلة بحكم الاستعمار أو غيره.

ولا يحق للدارس، مستشرقًا أو غير مستشرق، أن يطبق معاييره هو المبنية على خلفية ثقافية دينية أخرى على مجتمع آخر له خلفيته الثقافية الدينية، التي لا يؤمن بها هذا الدارس ولا يتمثلها ولا يتبناها.

والمعيار الحق عندنا أن تقاس ممارسات المجتمع المسلم بالإسلام، بمبادئه ومثله وأخلاقه وعاداته. وفي هذا المنهج موضوعية وتجرد، قد لا تتحقق لبعض المستشرقين الذين رحلوا للمجتمعات المسلمة، وتنكروا بالاسم والزي العربي واللسان وغيرها قصدًا إلى الولوج في أعماق المجتمع، والخروج منه بأسوأ الانطباعات، إن لم نقل تصيُّد أسوأ الممارسات، ذلك أن الممارسات الحقيقة الصادقة، أو القريبة من الصدق لا تكوِّن خبرًا يستحق النقل إلى مجتمعات أخرى تعاني من خلل في سلوكياتها، ولا يملك نقل هذه الصورة المثالية إلا الموضوعيون الذين يتمنون أن يروا هذه الممارسات في مجتمعهم هم، الأمر الذي لا يتناسب والشعور بالفوقية، التي أشار إليها "وليد نويهض" في تحليله السابق ذكره، ولذا تأتي الانطباعات التي ينقلها بعض المستشرقين الرحالة لتعضد الشعور بالفوقية، وبالتالي إشعار المجتمع الآخر بالدونية، الأمر الذي تحقق شيء كثير منه لدى عدد غير قليل من أفراد المجتمع العربي والمسلم، وانعكس على موقف هؤلاء من خلفيتهم الثقافية ومن يحملونها في المجتمع وخارجه.

ثامنًا - الانطباعية :

ومن المآخذ على بعض الدراسات الاستشراقية اعتمادها على الانطباعية في استصدار أحكام على المجتمع المسلم، أو على تعاليم إسلامية. وتكثر الانطباعية هذه لدى المستشرقين الرحالة الذين لم يكتفوا بالقبوع في مكاتبهم ومكتباتهم، بل قدموا إلى المجتمع المسلم في الجزيرة العربية أو في مصر أو في المغرب العربي، أو في المشرق الإسلامي عمومًا، ثم تتبعوا ممارسات المسلمين في أي وقت، وبنوا عليها أحكامًا لا على المسلمين فحسب، بل على الإسلام نفسه. وهنا مكمن الخطر؛ إذ إن دراسة مجتمع مسلم في أي وقت واردة من المسلمين ومن غيرهم، وواقع المسلمين مفتوح للدراسة من الجميع، فإن لم يدرسه المسلمون درسه غيرهم، إلا أن غيرهم سيعزو ما يراه وما يكوِّنه من انطباعات على أنها تمثيل "حي وعملي" للخلفية الدينية أو الثقافية أو العادات والتقاليد، أو المبادئ التي يقوم عليها هذا المجتمع، لا سيما عندما يتسمى بالمجتمع المسلم. فتصدر الأحكام متخذة من ممارسات المجتمع حجة على



الإسلام الذي نعتقد أنه صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يعمد المتتبع للمجتمع المسلم تتبع الناقد أن يطبق على هذا المجتمع معاييره هو التي يمكن له أن يطبقها على مجتمعه هو، بما يتصف به مجتمعه من مقومات قد لا تصدق جميعها على المجتمع المسلم الذي يتتبعه بالنقد. ولعل مما أسهم في إشاعة هذه الدراسات الانطباعية، وأعان على أن تلقى القبول لدى المفكرين المسلمين وغيرهم افتقار المنطقة إلى الدراسات "المحلية" التي تنبع من البيئة نفسها، فأقبل الناس على أية دراسة تصف مجتمعًا بعينه،(٥٦) لا سيما أولئك الباحثون الذين يحتاجون في دراسة مجتمع بعينه إلى معلومات عن المجتمع الذي سيدرسونه، سواء أكانوا باحثين مسلمين أم غير مسلمين.

ومكمن الخطر هنا هو في قلب الموازين – كما نقول – فالمحقق عندنا، نحن المسلمين، أن تعاليم الدين حجة على مطبقيها، وليست ممارسات الأفراد أو المجتمعات حجة على التعاليم نفسها. أي إن المجتمع المسلم، أي مجتمع مسلم، يقاس بالإسلام، ولا يقاس الإسلام بالمجتمع أو بالفرد. وهذا خطأ لا يقع فيه المستشرقون وحدهم، بل يقع فيه بعض المفكرين الآخرين من العرب ومن غيرهم ممن يسعون إلى التقليل من شأن الدين في حياة الأفراد والجماعات.

وقد رحل جمع من المستشرقين إلى الشرق لأغراض شتى، منها الاقتصادي التجاري، والاستعماري، والسياسي، والتنصيري، والعلمي، وأسهموا في التنظيمات السياسية التي قامت آنذاك، مثل الجمعية الأفريقية، التي أنشئت عام ١٧٨٨م، وهيئة استكشاف فلسطين، التي أنشئت في القرن التاسع عشر الميلادي، وجمعية الهند الشرقية، التي أنشئت سنة ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م.(٥٧) كما أسهموا في الحملات العسكرية التي احتلت البلاد العربية والإسلامية.(٥٨) ومعلوم أن "نابليون بونابرت"(٥٩) قد أحضر معه جمعًا من المستشرقين، كان لهم أثر في محاوراته مع علماء الأزهر.(٦٠)

والمهم هنا التعرض للرحلات العلمية التي قام بها المستشرقون الرحالة، وخرجوا منها بانطباعات زعموا أنها تعكس الواقع المسلم في الفترة التي سجلوا فيها انطباعاتهم، على الأقل، ثم سعوا إلى تعميمها على المجتمع المسلم بغض النظر عن الزمان والمكان.

على أن المجتمع المسلم بعامة، والجزيرة العربية بخاصة تمثل لغزًا لدى كثير من المهتمين من الغربيين، ومنهم المستشرقون، فهي تمثل مهبط الإسلام، وموطن الأماكن المقدسة التي يحظر على غير المسلمين الدخول إليها.(٦١)

ولذا لجأ بعض المستشرقين إلى تغيير أسمائهم بأسماء إسلامية عربية، وادعى

بعضهم الإسلام ودخل الجزيرة العربية حاجًا، ثم انطلق إلى شرقها وجنوبها، ووسطها أحيانًا، لينال القبول من الولاة والأمراء الذين لم يكونوا يرحبون بالأجنبي في أرض القداسات، ويخشون أنه إنما جاء ليفسد. ومع هذا فلم يجدِ التنكّر وإخفاء الهوية مع بعضهم، فكان مصيرهم القتل على أيدٍ مجهولة، لعلها كانت تتبعهم بإيعاز من الوالي. فهذا "زيتسن"(٦٢) يتنكر بهوية طبيب شرقي، ويتسمى بالحاج "موسى"، ويدخل مكة المكرمة سنة ١٨٠٩م، ثم يتجه إلى اليمن فيقتل بالقرب من تعز دون أن يعرف القاتل ولا سبب القتل.(٦٣) وهذا المصير يذكي روح المغامرة لدى بعض المستشرقين الذين يرغبون في "استكشاف" الجزيرة العربية والشرق الإسلامي عمومًا، ويغري بالوقوف على هذه المجتمعات ونقل الوصف عنها إلى الغرب،(٦٤) الذي يعتمد في معرفته لها على انطباعات عن سحر الشرق، هي أقرب إلى الألغاز والشاعرية "الرومانطيقية" المأخوذة من الأساطير المختلقة "كألف ليلة وليلة"، (٦٥) والاختلاقات المحاكة عن الخلفاء المسلمين، مثل ما حيك عن الخليفة العباسي "هارون الرشيد" - رحمه الله تعالى-.(٦٦).

ومن ناحية أخرى يعتمد الغرب على المعلومات هذه في سبيل اتخاذ إجراءات نحو الشرق، إما بالاستعمار أو بتحديد نوع العلاقة السياسية أو الاقتصادية مع هذا العالم الموصوف بالنامي.

ولا يصدق تغييب الهوية والاختفاء بالملابس والأسماء العربية على الجميع، بل إن هناك رحالة جاسوا خلال الديار، دون أن يضطروا إلى إخفاء أنفسهم وراء اسم مستعار مثلاً، فهذا الطبيب "هاريسون"(٦٧) يجوب الجنوب الشرقي من جزيرة العرب (عُمان)، ويصف مشاهداته في أكثر من كتاب، منها كتابه (رحلة طبيب في الجزيرة العربية). الذي يتهم فيه أهل رأس الخيمة بأنهم متطرفون حتى فيما يتعلق بالصلاة في المسجد!(٦٨)

ويصف "فرد هاليداي" في كتابه (المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية) حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" -رحمه الله تعالى- بأنها حركة إرهابية، تمخضت عنها ممارسات إرهابية كذلك، مثل ما يقوم به البوليس الديني (المطاوعة) من إرهاب الناس ودفعهم إلى الصلاة بالقوة، وعزل النساء، وإجبار السجناء على قراءة القرآن الكريم.(٦٩) والمقصود هنا، على ما هو واضح، ما تقوم به "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" التي تمثل في فكرتها مبدأ من مبادئ الحسبة في الإسلام. وهي ليست وليدة حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"؛ إذ إن هذه الحركة لم تأت بجديد على الدين، أو تدخل فيه ماليس منه.

وليس من الغريب أن يطلق المؤلف على هذه الحركة المذهب الوهابي، أو الحركة الوهابية، فهو لم يكن وحده في هذا الإطلاق، حتى شاعت هذه الكلمة في أوساط بعض

الباحثين العرب.[٧٠] كما أن اللفظ قد استخدم للذم في كتابات عربية وأجنبية متعددة.[٧١]

ويخطئ أيضًا من يعدُّ دعوة الشيخ "محمد ابن عبد الوهاب" إيذانًا باندلاع شرارة القومية العربية،[٧٢] فالأسس التي قامت عليها الدعوة لا تتفق وحركة القومية العربية التي نادت بها بعض القيادات السياسية والفكرية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، بل إنها عدت من العقبات التي تحول دون قيام قومية عربية تؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع.

وعلى أي حال تحتاج وقفات الرحالة المستشرقين مع حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" إلى دراسة مستقلة تبرز فيها انطباعاتهم عن هذه الحركة التجديدية.

كما أن القصد من هذه الوقفات لا يصل إلى حد استقراء مواقف الرحالة المستشرقين وغير المستشرقين وانطباعاتهم حول المجتمع المسلم، بل اقتصرت النظرة –هنا– على أولئك الذين حلّوا في البلاد العربية بعامة، بوصفهم يمثلون عينة لمن حلّوا في البلاد الإسلامية الأخرى. ولم تتعرض هذه الوقفات إلى الذين حلّوا في البلاد الإسلامية الأخرى؛ لأني أرى أن ذلك من المتعذر في دراسة واحدة، نظرًا لتشتُّت المعلومات مكانًا ولغات وأوعية معلومات، وإنما ينطلق المرء غالبًا في دراسته مما هو متاح له من معلومات محدودة زمن إعداد الدراسة، بما في ذلك المعلومات المتوافرة عن مستشرقين قد لا يكونون من الرحالة.

وفي المقابل لم يكن جميع الرحالة، الذين جابوا البلاد الإسلامية، لا سيما البلاد العربية منها، والجزيرة العربية على وجه أخص، من المستشرقين، فقد كان من هؤلاء الرحالة العملاء والجنود والمغامرون. ومنهم من كان يجيد اللغة العربية، إلا أنهم لم يكونوا على قدر من الإحاطة والعلم بالإسلام الذي « يمكنهم من الملاحظة العلمية المتعمقة المتفهمة».[٧٣]

وقد درس جمع آخر من المستشرقين الرحالة، وغيرهم من الرحالة، المجتمعات المسلمة، وخرجوا منها بانطباعات قد لا تكون بالضرورة ممثلة لممارسات حقيقية لما يمليه الدين عليها، فهذا "ريتشارد هرير دكمجيان"[٧٤] في كتابه (الأصولية في العالم العربي) يصنف المسلم "الأصولي" المعاصر على أساس ما يقوم به بعض الأفراد، أو أحيانًا فرد بعينه من بعض الممارسات الفردية التي لا تصدق بالضرورة على المجتمع المسلم جله، ناهيك عن أن تصدق عليه كله، كالعزلة والاكتمال قبل الأوان، والتعصب، والدونية–والاستعلاء، والحركة–والعدوانية، والفاشية، وعدم التسامح، والارتيابية–والإسقاط، والنظرة التآمرية، والمثالية، والإحساس بالواجب، والقسوة – والجرأة، والطاعة – والالتزام، وفي هذا كله تعميم لا يصدق بالضرورة على كل ملتزم بالدين التزامًا مبنيًا على العلم والفقه فيه، كما يحققه المترجم المعلق.[٧٥]



ومن هذا أيضًا تصنيفه الإسلام إلى "إسلامات". فهناك إسلام رسمي، وأصولي، وصوفي، وتقليدي، (٧٦) وإسلام الخاصة، وربما النخبة، وإسلام جماهيري "شعبي"، وعلماني، واشتراكي، ويساري، ويميني، ووسط.. وهكذا. وهناك الإسلام السياسي،(٧٧) وربما الإسلام الشرقي، والإسلام الإقليمي، والإسلام الغربي... وغير ذلك من التصنيفات للدين الواحد الذي لا يقبل هذا النوع من الوصف والتصنيف، الذي لم يقع فيه جملة من المستشرقين الرحالة وغير الرحالة فحسب، بل وقع فيه بعض المفكرين العرب من باب الاندفاع نحو التجديد حتى في اختيار عنوانات الأبحاث والمحاضرات.(٧٨)

وقد كتب الرحالة المستشرق الفرنسي "دي فولني"(٧٩) كتابًا في مجلدين عنوانه (رحلة إلى مصر وسوريا) سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م، لم يعتمد فيه على المصادر والمراجع العلمية إلا في الجزء المتعلق بتاريخ مصر الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام، واستغرقت خمسين [٥٠] صفحة فقط من المجلدين.(٨٠) ، أما باقي كتابه فقد سلك فيه منهج المشاهدة الشخصية والمقابلات التي أجراها مع التجار المسيحيين والمسلمين، وكان يستنتج من تلك الحوادث والمشاهدات اليومية أنها ذات علاقة بالسياسة التي هي انعكاس صحيح لحالة الشعب المصري وعلاقته بحكامه المماليك.(٨١) وقد أظهر في كتابه هذا عداءً جارفًا للإسلام دينًا أو نظامًا سياسيًا، على حدّ تعبير "قاسم السامرائي".(٨٢)

وقد اعتمد عليه "نابليون بونابرت" كثيرًا في حملته على مصر وسوريا، ورأى من خلاله أنه أمام ثلاث عقبات؛ إنجلترا، والباب العالي، والمسلمين.(٨٣)

وفي كتاب "خوان غويتسولو"(٨٤) (في الاستشراق الإسباني) ملحق عن رحلات "دومينغو باديا"(٨٥) "علي بك العباسي" إلى أفريقيا وآسيا، وفيها وصف المغرب، ووصف مصر، ووصف الحج إلى مكة المكرمة، ووصف فلسطين، ووصف تركيا، وكلها تقوم على جملة من الانطباعات، رصدها الرحالة "دومينغو باديا" في وصفه، وركز في وصف الحج على "الأغوات" وأشكالهم، وعدّهم من أهل مكة المكرمة، وخرج بوصف أهل مكة المكرمة من خلال وصفه للأغوات.(٨٦)

وأصدر المستشرق الهولندي "كريستيان سنوك هورخرونيه"(٨٧) كتابًا من جزأين عن مكة المكرمة والحج عندما دخلها باسم "عبد الغفار"، وأقام فيها ستة أشهر، يرصد انطباعاته عن الناس والحجاج وأهل مكة المكرمة.(٨٨) وقد ترجم أستاذان من جامعة أم القرى بمكة المكرمة الجزأين، ونشر النادي الأدبي الثقافي بمكة المكرمة الجزء الثاني، ولا يزال الجزء الأول موضع نقاش في مسألة نشره، لأنه -على ما يظهر- مليء بالانطباعات التي لا تصدُق بالضرورة على أهل مكة

المكرمة، وعلى الحجاج، حتى في الفترة التي أقام فيها "هورخرونيه" في مكة المكرمة.(٨٩)

ومن الوقفات التي تذكر له أنه انتقد بمرارة الرحالة الأوربيين الذين «... يقيمون في الشرق أيامًا معدودة ويصدرون أحكامًا سطحية وسانجة تعتمد لا على المشاهدة، وإنما على ما هو موجود في بطون كتب المستشرقين ممن سبقهم. وبهذا تتوالى الأخطاء باستمرار في كتب هؤلاء».(٩٠)

و"لقاسم السامرائي" وقفة طويلة مع هذا المستشرق الرحالة الذي جاب البلاد الإسلامية، وركز على الجزيرة العربية وإندونيسيا، على اعتبار أنه كان يخدم الحكومة الهولندية في مسألة استعمارها لإندونيسيا، وشملت هذه الوقفة مناقشة إسلام "هورخرونيه".(٩١)

وانظر، إن شئت، إلى صور "غوستاف فلوبير"(٩٢) عن المجتمع المصري في كتابه (فلوبير في مصر). وقد أورد "إدوارد سعيد" أمثلة مما ذكره "فلوبير" من انطباعات عن المجتمع المصري، في نطاق ضيق منه، ثم عممه على العرب جميعًا.(٩٣) وهي انطباعات تدور حول مشاهدات جنسية، وأخرى بذيئة تتعلق ببعض الرموز الدينية، أو ما كان يعتقد أنهم من الرموز الدينية، لا يليق ذكرها في هذا البحث؛ إذ إنها من الابتذال "المقرف" بحيث تسمح بالترفع عنها.

والمقصود هنا أن "فلوبير" يخرج من هذه الانطباعات وغيرها بأحكام سريعة تخرج على أنها أحكام عامة، ومنها قوله: « إن البقشيش والعصا ليشكلان الحقيقة العميقة للإنسان العربي، إنك لا تسمع (هنا) شيئًا آخر ولا ترى شيئًا آخر».(٩٤) وقد تأثر "فلوبير" هذا بآرائه وانطباعاته التعميمية بآراء "إدوارد وليم لين".(٩٥)

وقد كتب "إدوارد وليم لين" عن أخلاق المصريين المعاصرين وعاداتهم كتابًا مليئًا بالانطباعات، ومنها هذه الصورة المقززة الآتية: «حين زوّج نقيب الأشراف، السيد عمر، إحدى بناته ... منذ خمسة وأربعين عامًا تقريبًا، مشى أمام الموكب شاب كان قد أحدث ثقبًا في بطنه، وسحب قسمًا كبيرًا من أمعائه، وحمله على صينية فضية، وبعد انتهاء الحفل أعاده إلى موضعه، وبقي في الفراش أيامًا قبل أن يشفى من آثار هذا العمل المقرف».(٩٦)

والذي يظهر أن هذا العمل الوصفي قد نال حظًا من العناية، لا سيما من المفكرين المصريين الذين تتبعوه بالنقد والتمحيص والتدقيق فيما يتعلق بالمعلومات التي أوردها المؤلف عن طباع المجتمع المصري، الذي يعدُّ بحق من أبرز المجتمعات المسلمة، فيما يتعلق بالنهضة العلمية والفكرية الحديثة، والتأثير على المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى. فقد تتبع "عدلي طاهر نور" هذا الكتاب بالنقد والتحليل. ونشر متابعاته هذه في مجلة (الرسالة) في ثلاث وخمسين وقفة، على مدى

سنتين، من سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م إلى سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م.(٩٧) كما وقف معه "إدوارد سعيد" وقفات تحليلية، ومنها قوله كاستنتاج على تعميم الانطباعات التي خرج بها "لين": «... وهكذا فإن "لين" يجعل ما يبدو وصفًا واقعيًا لما يفعله فرد مسلم غريب الأطوار يظهر وكأنه المركز المكشوف بصراحة لعقيدة المسلمين جميعًا. ولا يلقي "لين" بالاً للخيانة التي يمارسها لصداقته مع أحمد أو مع الآخرين الذين يزودونه بالمعلومات. وكل ما يعنيه هو أن يبدو تقريره دقيقًا، عامًا، ومتجردًا، وأن يقتنع القارئ الإنجليزي بأن "لين" لم يصب بعدوى الهرطقة أو الردة، ثم، أخيرًا، أن نص "لين" يلغي المضمون الإنساني لموضوعه في سبيل اكتسابه السريان والجدوى العلميين».(٩٨) ومع هذا فقد أثنى عليه "محمد عبد الغني حسن"، وبان عليه تأثره بما كتبه "لين" عن المجتمع المصري.(٩٩)

ويكتب "بوركهارت"(١٠٠) عن الجزيرة العربية مركزًا على الحجاز، لا سيما الحج، ويصف المناسك، كما يصف الحياة الاجتماعية لأهل الحجاز، ومدنها ومنازلها وأهلها ودكاكينها وشوارعها ومقابرها، وصفَ من وقف عليها. وقد فعل ذلك بعد أن تسمى بالحاج "إبراهيم عبد الله". وقد تُرجِم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ولكن المترجمَين اضطرا إلى التصرف الطفيف في النقل، كما حذفا سطورًا في ستة مواضع، لأنهما رأيا أنها غير صحيحة، أو مبالغ فيها، أو تسيء إلى بعض المواطنين.(١٠١)

ويحقق مترجما كتاب "بوركهارت" (رحلات في شبه جزيرة العرب) أن الرحالة: «كان شديد النقد لسلوك المسلمين، ويبدي عواطف باردة تجاه المقدسات الإسلامية، فمشاعره نحوها أقرب إلى مشاعر الباحث والأثاري منها إلى مشاعر المؤمن المتعبد».(١٠٢) وقد حمل على العثمانيين والعسكر والتجار في مصر والشام والحجاز والمطوفين والمزورين، وهو بذلك يصدر «... أحكامًا عامة على جميع أفراد تلك الفئات تجعل الباحث المنصف يتردد في قبولها إن لم يرفضها».(١٠٣)

كما يكتب "كارستن نايبور"(١٠٤) عن شبه جزيرة العرب، بعد أن جالها في بعثة مات أصحابه أثناء تجوالهم فيها، وبقي هو يسجل مرئياته، ويصف ما تقع عليه عيناه. ويذكر أن ما يميز كتابه رحلات خلال جزيرة العرب عن أمثاله من كتب الرحلات في عصره «أن الصفة الغالبة في أسلوبه هي روح البحث العلمي المجرد عن التحيز والحكم المسبق، فعقله المتزن، وتفكيره الهادئ الذي لا يعرف التغرض، لم يؤديا به إلى التسرع في إصدار أحكام سطحية حول البلاد وسكانها».(١٠٥)

ويصدر المستشرق الفرنسي "إرنست رينان"(١٠٦) أحكامًا انطباعية كثيرة على الشرق وأهله، لا سيما المسلمون منهم، وهو ممن عاش في الشرق، ومن ذلك موقفه من

العـرق السـامي الذي يرجع إليـه العنصـر العربي، الذي كان منطلق انتشار الإسلام؛ إذ يقـول: «إن الإنسـان ليـرى في كل شيء أن العرق السامي يبدو عرقًا غير مكتمل بسبب بساطته، وهذا، بالقياس إلى العائلة الهندو- أوروبية، مثل تخطيط بقلم رصاص -إذا جرؤت على استخدام هذا القياس- بالنسبة إلى لوحة فنية، فهو يفتقر إلى ذلك التنوع، وذلك الثراء، وتلك الوفرة الفائضة من الحياة التي تشكل شرط الاكتمال. والأمم السامية، مثل أولئك الأفراد الذين لا يمتلكون إلا درجة ضئيلة من الإبداع المخصب، ولذلك فإنهم بعد طفولتهم المباركة لا ينالون إلا الدرجة الأكثر عادية من الخصب، عرفت ازدهارها وتفتحها الأكمل في عمرها الأول، ولم تستطع بعدها على الإطلاق أن تصل درجة البلوغ الحق».(١٠٧)

ومما يمكن أن يعد نتيجة من نتائج هذا الموقف من العرب المسلمين، والساميين بعامة ما صرح به "رينان" نفسه في محاضرة ألقاها في "الكوليج دي فرانس" سنة ١٨٦٢م من أن « الإسلام هو احتقار العلم وإلغاء المجتمع المدني، إنه البساطة المروعة للعقل السامي، التي تحد من الدماغ الإنساني، وتحول بينه وبين كل فكرة مرهفة، وكل إحساس رقيق، وكل بحث عقلاني، ولتجعله في خدمة توتولوجة أزلية: "الله هو الله"».(١٠٨) وبعبارة أخرى لترجمة أخرى: «الإسلام هو النفي الكامل لأوروبا، الإسلام هو التعصب، الإسلام هو احتقار العلم، القضاء على المجتمع المدني، إنه سذاجة الفكر السامي المرعبة، يضيِّق الفكر الإنساني، يغلقه دون كل فكرة دقيقة، دون عاطفة لطيفة، دون كل بحث عقلاني، ليضعه أمام حشو سرمدي: الله هو الله».(١٠٩)

ونحن المسلمين لا نؤيد "رينان" فيما ذهب إليه؛ لأن المعيار عندنا يناقض تماما هذه الآراء التي جمعت بين النقص العرقي والنقص الديني في انطباعاته عن العرب، لكونهم يكوِّنون عنصرًا رئيسًا في السامية.

ويستفيد "كارل ماركس"(١١٠) من انطباعات "رينان"، حيث يقرر أن « على إنجلترة أن تحقق في الهند رسالة مزدوجة: الأولى تدميرية، والثانية إحيائية تجديدية- إفناء المجتمعات الأسيوية، وإرساء الأسس المادية للمجتمع الغربي في آسيا»(١١١) مع أن "ماركس" كان في البداية ضد فكرة الاستعمار البريطاني.

ويتساءل "إدوارد سعيد"، هنا، « أين ضاع التعاطف الإنساني، وفي أي عالم من الفكر تلاشى لتحل محله الرؤيا الاستشراقية؟ ويعيدنا الأمر إلى إدراك أن المستشرقين، مثل كثير من مفكري القرن التاسع عشر، يتصورون الإنسانية إما ضمن معطيات جمعية كبيرة أو في إطار عموميات مجردة. والمستشرقون ليسوا بقادرين على، أو براغبين في، مناقشة الأفراد، وبدلاً من ذلك تطغى في أعمالهم كيانات مصطنعة، ربما كانت جذورها ضاربة في مفاهيم هردر الشعبوية».(١١٢)

وينقل المستشرق "جاك بيرك"(١١٣) عن (باحث محلي) قوله: «لقد قام باحث عراقي

بإجراء بحث في منطقة الأهوار المجاورة لشط العرب مازالت هناك عادات تعكس الأوضاع البدائية كتبادل الزوجات الذي حرمه الإسلام كل التحريم أو كالتنازل عن الزوجة فدية "عن جريمة قتل".[١١٤] وفي هذا النص أمران يستحقان الوقوف والتحليل :

الأمر الأول: هو أن "جاك بيرك" يطبق المعيار هنا على ما يذكره، حينما يؤكد على أن الإسلام يحرم هذا الأسلوب من الممارسات.

الأمر الثاني: أنه لم يكن موفقًا في النقل عن الباحث العراقي، وهو "شاكر مصطفى سليم"، الذي لم يذكر هذه المعلومات في الكتاب الذي رجع إليه المستشرق "جاك بيرك"، مع أنه ذكر البيانات المعتادة عن المرجع المذكور وهو كتاب (الجبايش). وهذا خطأ منهجي يعتقد أن المستشرق وقع فيه عمدًا، لأن الكاتب العربي تطرق لموضوع تعدد الزوجات في الأهوار طبق ما هو مقرر شرعًا في حدود المعيار، لا ما هو محرّم في الإسلام.[١١٥]

وهذا المستشرق الإنجليزي "سارجنت"[١١٦] يقيم مدة في جنوب الجزيرة العربية، ويخرج بمقالة « مبنية على الظن والافتراض إضافة إلى أن أفكارها غير مقنعة».[١١٧]

وهذه المنصرة "إليانور تيلور" تروي انطباعاتها عن رحلتها التنصيرية في البحرين، وتتردد على البيوت التي تزعم أنها تدخلها دون الحاجة إلى استئذان؛ لأن العرب عندها لا يقرون الاستئذان؛ إذ تقول: «... وعند بوابة البيت الخشبية الضخمة لم نقم بقرع الباب على اعتبار أن العرب لا يقرعون الباب عند دخولهم البيت، بل إنهم سيضحكون علينا إذا فعلنا ذلك!».[١١٨] والعرب والمسلمون لا يرحبون بالقادم إذا لم يستأذن بالدخول. وإذا فرض أن أهل ذلك الحي قد تنازلوا عن حقهم في الاستئذان عليهم، وهو أمر مستبعد، فإن العرب بهذا التعميم لم يتعودوا ذلك. والمعيار الذي يستنيرون به يحثهم على الاستئذان والسلام قبل الدخول.[١١٩]

وعلى أي حال لا تقتصر الانطباعات على مجرد كونها كذلك، تعبر عن آراء أصحابها فحسب، بل تتحول هذه الانطباعات الناجمة عن الرحلات، أو عن الاقتباس من كتب الرحلات، إلى أحكام رسمية، «ويعتمد إسهام المرء في إغناء مكتبة الاستشراق وتدعيمها على الطريقة التي تتحول بها التجربة والشهادة من وثيقة شخصية محض إلى نظام الترميزات المقوِّي الذي امتلكه علم الاستشراق، وبكلمات أخرى، ينبغي أن يحدث، في نص ما تقمص وتحول من التقدير الشخصي إلى التقدير الرسمي. وينبغي على السجل الذي يقدمه أوروبي ما لإقامته في الشرق وتجربته فيه أن يخلع أوصافه الشخصية والمستلذة المحض، أو يخفف منها إلى الأدنى الممكن، من أجل أن يكتسب أوصافًا يستطيع الاستشراق بصورة

عامة، والمستشرقون اللاحقون بصورة خاصة أن يستقوا منها، ويبنوا عليها، مزيداً من الملاحظات والأوصاف العلمية. وهكذا، فإن أحد الأشياء التي يمكن لنا أن نترصدها هو تحويل أكثر صراحة مما حدث لدى ماركس للمشاعر الشخصية تجاه الشرق إلى تقريرات استشراقية رسمية»، كما يقرر "إدوارد سعيد" في الاستشراق.(١٢٠)

وينبني على هذه الآراء الانطباعية القديمة آراء حديثة مؤداها أن الشرق لا يستحق أن ينعم بما ينعم به الآن من ثروات طبيعية وبشرية وعلمية وثقافية، ومن رغبته في أخذ مقعد في مسيرة الحضارة الحديثة، بل ينظر إلى هذا الشرق على أنه لا بد أن يظل "عالة" على الغرب في العلم والثقافة والخبرة وغيرها من مقومات حضارة اليوم، ذلك أن الشرق بعامة، والعرب بخاصة، في تركيبتهم "الفسيولوجية" لا يملكون مقوّمات السير في هذا المضمار، كما يحلو "لإرنست رينان" أن يقرر! « فتطغى هذه الآراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي. فالعرب، مثلاً، يتصورون راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين، شرهين، تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية. وثمة، دائماً، افتراض متربص بأن المستهلك الغربي، رغم كونه ينتمي إلى أقلية عددية، ذو حق شرعي إما في امتلاك معظم الموارد الطبيعية في العالم، أو في استهلاكها (أو في كليهما). لماذا؟ لأنه بخلاف الشرقي إنسان حق، وليس ثمة مثل أفضل اليوم ... من الحالة التالية: إن غربياً أبيض ينتمي إلى الطبقة الوسطى يؤمن بأنه امتياز طبيعي له لا أن يدير شؤون العالم غير الأبيض وحسب، بل أن يمتلكه كذلك، لمجرد أن العالم الأخير، تحديداً، ليس بالضبط إنساناً تماماً بقدر ما "نحن" كذلك. ليس ثمة مثل أصفى من ذلك على الفكر المفرغ من الإنسانية»، كما يقرر "إدوارد سعيد" كذلك.(١٢١)

وقد يقال إن الرحلات وما تمخض عنها من إنتاج علمي قد أسهمت في إزالة سوء الفهم الذي تركه المستشرقون من غير الرحالة الذين اعتمدوا على آثار من سبقهم من المستشرقين، هذه الآثار التي لم تسهم إيجاباً في الموضوعات التي تحدثت عنها، فأزال المستشرقون الرحالة كثيراً من سوء الفهم والتغرض والتعصب، ذلك أنهم عايشوا المجتمعات المسلمة وعرفوها معرفة صحيحة أزالت الخوف والعداء، وأقامت أسساً جديدة للتفاهم، وقنوات حديثة للحوار.(١٢٢) .

وإني أظن أن هذا حق، إذا ما توافرت النية الصادقة لدى الدارسين للمجتمع المسلم من المسلمين وغير المسلمين، واتخذ الدارسون معياراً متعارفاً عليه، متفقاً عليه في قياس أي مجتمع مسلم، وإن لم يؤمنوا به عقيدة وأسلوب حياة، كما فعل "جاك بيرك" في مناقشته للخطأ الذي وقع فيه في استشهاداته المرجعية.



تاسعًا - الخاتمة: الخلاصة والنتيجة

الاستشراق ميدان عريض متعدد الوجهات، وذو فئات ومدارس. وهو قديم وحديث، وذو أهداف متعددة، ومنطلقات مختلفة، والتعميم في الأحكام على الاستشراق ليس مطلوبًا، ولا مرغوبًا فيه. والتخصصية هي التي تبين الغث من السمين. وهناك ما يربو على مئة وعشرين ألف عمل استشراقي قديم وحديث. «ومن ذا الذي يستطيع استقراء الآراء في هذه الأعمال الاستشراقية، كتبًا كانت أم بحوثًا ومقالات».[١٢٣]

إن أدبيات الاستشراق وفرقه وتنوعه وتعدد اللغات التي كتب فيها والاتجاهات التي سارت على منوالها لا تزال في حاجة أكيدة إلى غربلة وتقويم. «وبعض المحاولات التي قام بها بعض الباحثين سواء أكانوا من المسلمين أم من المستشرقين أنفسهم بقيت إلى هذه الساعة دون الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع ... فواجب علينا إذن أن نقوم بعملية مراجعة طويلة النفس لننصف حضارتنا، وهو ما يتطلب منا نقدًا علميًا لمناهج بعض المستشرقين، وتفكيكًا لطرق تحليلهم، وكشف القناع عن ملابسات مواقفهم، وإثبات مواطن الخطأ في كتبهم ومصادرهم».[١٢٤]

ولقد تتبعت ما كتب عن الاستشراق باللغة العربية، رغم ما تعانيه المكتبة العربية من نقص في الضبط الوراقي "الببليوجرافي"، ورغم مضي ثماني سنين على المتابعة. فوقفت على أكثر من ألف وتسع مئة وخمسين عملاً عربيًا يناقش الاستشراق بعمومياته وخصوصياته، بسلبياته وإيجابياته، فتأكد عندي صعوبة الصدور بحكم "عام" على دراسات المستشرقين.

ولذا فضلت الوقوف على جزئية صغيرة من هذه الدراسات تتعلق بالانطباعات والآراء القائمة على المشاهدات، ومن ثم الخروج منها بأحكام عامة دون إخضاع هذه الأحكام إلى معيار موضوعي تقاس عليه الممارسات التي تصدر عن الأفراد أو عن جماعات محدودة في مجتمعات صغيرة. ومع هذا فإن هذا الموضوع على جزئيته يحتاج إلى خدمة أكثر، ودراسة أعمق، ووقفات أطول مما اتسمت به هذه العجالة. ولعلها تفتح المجال لذلك، فإني أزعم أن الموضوع أوسع من أن يحصر في دراسة قصيرة، بل ربما ذهبت إلى القول: إن الأمر يستدعي الوقوف عند حالات فردية من المستشرقين الرحالة لمناقشة أفكارهم وانطباعاتهم التي خرجوا بها من رحلاتهم، ومن ثمّ مقابلتها بالمعيار الذي نؤمن به،



ونتخذه مقياساً لوزن المعلومات والأفكار والانطباعات التي تردنا من المستشرقين وغيرهم.

وسيظل الاستشراق معنا مادام هذا الدين بيننا، وما دمنا شرقيين نصر على أننا متميِّزون بديننا. ومتى ما تحققت رغبة "ماركس" في إبادة الشرق وتغريبه، فإن الاستشراق حينها سيتوقف، الأمر الذي لا يبدو أنه سيتحقق بقدر ما يمكن أن يتحقق عكسه، ولكن ليس عن طريق الإبادة، بل عن طريق إحياء هذا الشرق بما يحمله من رسالة هي للناس كافة.(١٢٥)

والذي لا بد من التأكيد عليه في هذا المجال المهم عدم الوقوع فيما وقع فيه بعض المستشرقين من بناء نظرية حول موقف ما، ثم النزوع إلى التراث أو الواقع لتثبيتها، ولو بالتعسف وليّ أعناق النصوص. ولذا فإنه ليس من الموضوعية المطلوبة والمنتظرة من كل باحث أن يزعم سلفًا، ولو افتراضًا، أن المستشرقين الرحالة جميعهم قد جنوا على المجتمع العربي والمسلم بمعلومات غير موثقة أو علمية، وإنما المطلوب الوقوف على المعلومات نفسها وتحليلها ونقدها بمقابلتها بمعيار النقد الدقيق، فما وافقه قُبل وأخذ به، وما لم يوافقه أعيد على أصحابه، وعُدّ من هناتهم التي تؤخذ عليهم.

ويتبع هذا عدم قبول هذه المعلومات على علاتها دون عرضها على المعيار بحجة أنها جاءت من المستشرقين، وأنهم كانوا حريصين على المجتمع الذي يتحدثون عنه، وأنهم خدموا التراث والواقع خدمة لم يصل إليها أبناء المجتمع نفسه.

والذي ظهر من هذا الاستعراض العاجل لهذا الموضوع أن المستشرقين الرحالة، والرحالة من غير المستشرقين، قد أسهموا في رسم صورة لم تكن دقيقة دائمًا عن الشرق، وسجلوا انطباعاتهم التي كانت مبنية على مجرد مشاهدات شخصية دون الاحتكام إلى معيار تنطلق منه ممارسات أهل الشرق، لا سيما المسلمون منهم. واعتمد غير المستشرقين، ممن لهم اهتمامات بالشرق، على هذه المعلومات المبنية على الانطباعات والمشاهدات في الحكم على المجتمع المسلم، وفي اتخاذ القرارات المصيرية أحيانًا. بل إني أزعم أن هذه المعلومات قد أثرت في مسألة فهم الإسلام وأهله، ومن ثم أثرت في اتخاذ المواقف حياله، بما في ذلك مسألة الإقبال عليه وانتشاره، والإسهام باتهامه بما يتهم به الآن.

وقد لا يتوقف الاعتماد على هذه المعلومات، المبنية على الانطباعات والمشاهدات عن المجتمع المسلم على المستشرقين، ومن يستأنس بإسهاماتهم، في اتخاذ القرارات المصيرية تجاه الشرق، كالقيادات السياسية والاقتصادية والعلمية، بل إن هذه المعلومات قد تسربت إلى الشرق نفسه واستأنس بها كُتّاب ومؤلفون شرقيون مسلمون، وأزعم أنها أثرت

على فهمهم لدينهم ومجتمعهم، بل ربما تسربت إلى قيادات سياسية مسلمة، فنظرت إلى الإسلام بتأثير من المعلومات التي أشاعها المستشرقون، لا سيما الرحالة منهم. ومن ثم قامت مواقف غير دقيقة، وقد تكون غير معلنة، تجاه الإسلام ومن يلتزمون به.

ومما يستنتج هنا أن المستشرقين قد خدموا المنطقة العربية والإسلامية بالوصف الدقيق الذي لم يكن المؤلفون العرب المتأخرون يلقون له بالًا كبيرًا. وهذا مما يذكر للمستشرقين، حيث أفاد منهم، كثيراً، علماء وباحثون في الجغرافيا والتاريخ الحديث والاجتماع والأنثروبولوجيا، وربما في علوم أخرى كالسياسة والاقتصاد والآداب، بل إن الفن التشكيلي يستفيد من وقفات المستشرقين الرحالة.(١٢٦) وكان من شغفهم بالمغامرة والدخول إلى مواطن لم يكن ليدخلها الآخرون أن تنبهوا إلى تفصيلات دقيقة، ربما عدها الوصافون العرب من الأمور التي لا تستحق الذكر، ولكنها كانت تشكل شيئًا جديدًا لدى المستشرقين الذين قابلوها بغرابة وعجب.

والذي يتتبع انطباعات الرحالة المستشرقين والمنصرين(١٢٧) سيجد أوصافًا دقيقة للناس والحياة التي مروا عليها، بما في ذلك طرق الأكل واللباس والمشي والركوب والجلوس، وكل دقيق في حياة الناس. وقد تكون النساء في هذا المجال أكثر دقة من الرجال في الوصف وتتبع عادات الناس وتقاليدهم، والخروج بانطباعات اجتماعية عديدة عن المجتمعات التي عشن بها وعايشنها وعاشرن نساءها. وفي هذا تقول المنصرة "ستانلي ميلري": «... ومع تجربة العمل لأشهر قليلة في الكويت وجدت أننا استطعنا كنساء الإرسالية الدخول إلى الكثير من البيوت ومعرفة الكثير عن حياتهم وأحوالهم [هكذا]، وتمكنا من الاختلاط بأناس من نوعيات وأجناس مختلفة أكثر مما استطاع رجال الإرسالية تحقيقه مع رجال الكويت. وفي يوم سفري من الكويت ودعت النساء الكثيرات اللواتي أصبحن صديقاتي وأنا أضحك على انطباعاتي الخاطئة عنهن في أيامي الأولى».(١٢٨)

ومثل هذا كثير من الانطباعات المبثوثة، وجمعت في أعمال حديثة، مثل تلك التي تضمنها كتاب (القوافل)،(١٢٩) وغيره من الكتب التي عالجت موضوع الرحلات إلى المنطقة العربية والإسلامية التي ورد ذكرها في ثنايا هذه الدراسة.

ومن الإنصاف أن تذكر هذه الجهود، مما ينتج عنه أن رحلات المستشرقين إلى الشرق العربي والإسلامي لا يمكن أن تكون شرًا كلها، وأنه يطلب من الباحثين العرب والمسلمين الاهتمام بتحليل المعلومات الواردة في هذا الإنتاج الاستشراقي، وعرضها على المعيار الذي يؤمن به هؤلاء الباحثون، فما لم يتعارض معه أخذ منه وبه، وما تعارض مع المعيار يرفض وينبّه إليه. وهذا الأسلوب يعين كثيرًا

على معرفة الأهداف التي من أجلها خاض المستشرقون الرحالة هذه المغامرات، ليفرّق بين من كان غرضه علميًا، ومن جاء للتجسّس وخدمة أغراض سياسية استعمارية وتنصيرية.

وقد وجدت من خلال إسهامات المؤلفين العرب والمسلمين في مجال الرحلات وقفات علمية تستحق التنويه، فيها تحليل ومناقشات لمواقف ذكرها المستشرقون الرحالة. وقد بان هذا بوضوح من خلال التعليقات الهامشية على كتب الرحالة التي نقلت إلى العربية بخاصة.(١٣٠)

ولم يكن القصد من هذه الدراسة استقراء الآراء والإسهامات في مجال الرحلات إلى الشرق، وتحليل معلوماتها وعرضها على المعيار الإسلامي، فإن هذا العمل متعذر على باحث واحد، لما تتسم به هذه المعلومات من التشتُّت في المكان واللغة والأوعية والزمان كذلك، حتى لو اقتصر الأمر على لغة واحدة، هي العربية هنا، فإن الاستقصاء يظل متعذرًا في وقفة قصيرة في المدة والمساحة، وذلك نظرًا لما تعانيه المكتبة العربية من قصور في خدمة المعلومة وتهيئتها للباحث من حيث الضبط الوراقي [الببليوجرافي]، وتنظيم المعلومة من حيث استخلاصها وتكشيفها ونحو ذلك.

وليس هذا عذرًا يضعه الباحث بين يديه لتسويغ التقصير، إذ إن المتوافر من المعلومات في مكتبات البلد الواحد، وباللغة العربية، قد يكون كافيًا للتغطية المطلوبة، إلا أنه لا يغفل بحال هذا العجز الذي تعانيه المكتبة العربية، مما يؤثر بوضوح على مسيرة البحث العلمي العربي، ومما يعد إحدى العقبات التي يواجهها الباحث في طريقه لإعداد البحث، لا سيما في مرحلة جمع المعلومات.

الهوامش والتعليقات

(١) جاكلين بيرين. **اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم**.- نقله إلى العربية قدري قلعجي، قدم له حمد الجاسر.- بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.- ص ١٦.

(٢) أصل هذه الدراسة محاضرة ألقيت في النادي الثقافي الأدبي بأبها في ٢٢-٣-١٤١٥هـ، بعنوان «الانطباعية في دراسات المستشرقين»، وقد طوّرت منذئذٍ، وتوسّع فيها.

(٣) سيأتي عند الحديث عن مفهوم الاستشراق تقييده بما يتعلق بالدراسات العربية والإسلامية، وهو منطلق الحديث عن هذا الموضوع.

(٤) هناك نقاش حول كنه الاستشراق من حيث كونه ظاهرة أو علمًا، فبعض المفكرين المسلمين يرى أنه مجرد ظاهرة لا ترقى إلى أن تكون علمًا، لافتقارها إلى مقومات العلم من حيث وجود نظرية وأطر علمية يسير عليها، مثله في ذلك مثل التنصير والاستعمار، بينما يرى مفكرون آخرون أنه علم

قائم بذاته له أطره ومنهجيته وأهدافه ووسائله.

(٥) سي. أي. ستوري مستشرق إنجليزي من طراز "براون" و"نيكلسون"، عمل أستاذًا للغة العربية بجامعة "عليكرة" في الهند، ثم في كمبريدج، ثم تفرغ لدراسة الأدب الفارسي. ويذكر "العقيقي" أنه يملك «أعظم مكتبة خاصة شرقية في إنجلترا». انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- ٣مج.- ط٤.- القاهرة: دار المعارف، (١٩٨٠م).- ٢: ١١٨-١١٩.

(٦) علي حسني الخربوطلي. **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.- ص ١٠٢. (سلسلة تاريخ المصريين -١٥).

(٧) لقد حاولت حصر التعريفات التي تعرض لها الدارسون لظاهرة الاستشراق في كتاب **الاستشراق في الأدبيات العربية**.- الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.- ص ١٧-٢٢.

(٨) عمر فروخ. «الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة».- في: **الإسلام والمستشرقون**. تأليف نخبة من العلماء المسلمين.- جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ص ١٢٥-١٤٣.

(٩) أ. د. جريكة مستشرق ألماني معاصر، كان رئيسًا لقسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هالة بألمانيا.

(١٠) من محاضرة له في الملتقى السنوي السادس للتعرف على الفكر الإسلامي الذي يعقد في الجزائر. ١:٦.

(١١) ألفريد غيوم تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر، كما عمل محاضرًا للغة العبرية في المعهد الملكي بلندن، واللغات الشرقية بجامعة درهام، وأستاذًا زائرًا للغة العربية بالجامعة الأمريكية ببيروت، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العراقي. وله آثارمنها تراث الإسلام، وأثر اليهودية في الإسلام. توفي سنة ١٩٦٢م. انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- مرجع سابق.- ٢: ١١٧-١١٨.

(١٢) جرت عادة الكتاب الغربيين من مستشرقين وغيرهم أن يعبروا عن المسلمين بالعرب.

(١٣) نقلاً عن ويندل فيليبس. **رحلة إلى عُمان**.- ترجمة محمد أمين عبد الله.- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.- ص ٢٠.

(١٤) محمد كرد علي من مواليد دمشق سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وحرر جريدة الشام، ثم الرائد المصري، ثم جريدة الظاهر اليومية، ثم المؤيد، ثم المقتبس، وعمل في المجمع العلمي بدمشق، وترك آثارًا علمية أبرزها (خطط الشام) في ستة أجزاء، وله وقفات مع الاستشراق والمستشرقين. انظر سيرته الذاتية في: محمد كرد علي. خطط الشام.- ٦ مج.-ط٣.- بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.- ص ٣٣٣-٣٤٧.

(١٥) محسن جاسم الموسوي. **الاستشراق في الفكر العربي**.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.- ص ١٩.

(١٦) محمود حمدي زقزوق. **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**.- ط ٢.- القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ص ٩٥.

(١٧) محمد عبد الله مليباري من مواليد مكة المكرمة سنة ١٣٥٠هـ، أديب وكاتب صحفي، له أعمال متفرقة في القصة والتراجم والتاريخ، توفي سنة ١٤١١هـ. انظر: محمد عبد الله مليباري. **المستشرقون والدراسات الإسلامية**.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. (الغلاف الأخير).

(١٨) محمد عبد الله مليباري. **المستشرقون والدراسات الإسلامية**.- المرجع السابق.- ص ٦٥.

(١٩) يوسف (جوزف) شاخت تخرج في جامعة برسلاو ولايبتزج. ودرّس في عدة جامعات أوربية وعربية، واشتهر بدراسة التشريع الإسلامي، وقد نشر عدة كتب في التراث التشريعي، وأسهم في تحرير (دائرة المعارف الإسلامية)، وتوفي سنة ١٩٦٩م. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢:٤٦٩-٤٧٠.

(٢٠) السير هاملتون جب من مواليد الإسكندرية بمصر، ومن أعلام المستشرقين، خلف مرجليوث في أكسفورد، وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة. وقد أتقن العربية وتحدث بها. ومارس التدريس في عدة معاهد وجامعات. وله عدة آثار منها (اتجاه الإسلام)، و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، وعدة ترجمات من العربية. توفي سنة ١٩٧١م. انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- مرجع سابق.- ٢: ١٢٩-١٣١.

(٢١) للنظر في دوافع المستشرقين وأهدافهم يرجع إلى: علي بن إبراهيم النملة. «كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف».- في: **دراسات استشراقية وحضارية**: كتاب دوري محكم.- ع١.- المدينة المنورة: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.- ص١٩-٦٠.

(٢٢) في تحديد مواقف العلماء والمفكرين العرب والمسلمين من الاستشراق والمستشرقين انظر: علي بن إبراهيم النملة. **مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء المواقف**.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.- ٥٥ ص. وانظر أيضاً: هاشم صالح، مترجم ومعد. **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**.- لندن: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ٢٦١ ص. ويشمل مواقف كل من: محمد أركون، ومكسيم رودنسون، وآلان روسيون، وبيرنارد لويس، وفرانسيسكو غابرييلي، وكلود كاهين.

(٢٣) محمود حمدي زقزوق.- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**.- مرجع سابق.- ص ١٠٨.

(٢٤) جون إسبوزيتو مستشرق أمريكي معاصر من أصل إيطالي، تتلمذ على الأستاذ إسماعيل الفاروقي -رحمه الله تعالى- بجامعة (تمبل) بفيلادلفيا بولاية بنسلفانيا من الولايات المتحدة الأمريكية، يعمل أستاذًا في الأديان والشئون الدولية بجامعة جورج تاون بواشنطون، ويرأس مجموعة من الهيئات المهتمة بالإسلام والشرق الأوسط، ويرأس الآن تحرير موسوعة العالم الإسلامي المعاصر التي ستنشرها جامعة أكسفورد.. وله آثار في متابعة أوضاع المسلمين في العصر الراهن. انظر:

John L. Esposito. Islam: The Straight Path.- Oxford: Oxford University Press. 1994. p. i

(٢٥) إسماعيل بن راجي الفاروقي أستاذ أمريكي من أصل فلسطيني، عاش في الولايات المتحدة الأمريكية، ورأس قسم الأديان بجامعة تمبل بفيلادلفيا. مات مقتولاً في رمضان من سنة ١٤٠٧هـ.

(٢٦) وقد يطلق عليهم بعضهم Islamologist على اعتبار أن هناك علمًا يدعى Islamology بديلاً للمصطلح Orientalism أو مزاحمًا له.

(٢٧) جوستاف بفانملر. **سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تصورات المستشرقين**.- ترجمة محمود حمدي زقزوق.- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.- ص ٦.

(٢٨) وليد نويهض. «نهاية الاستشراق، ٣- تطور الاتصالات أنهى وظيفة الاستشراق المعرفية».- **صحيفة الحياة اليومية**.- ع ١١٥٤٧(٢٩-٩-١٩٩٤م/٢٤-٤-١٤١٥هـ).- ص١٨.

(٢٩) سمير عطا الله. **قافلة الحبر: الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢/١٩٥٠م)**.- لندن: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ص ١٠٣.

(٣٠) المرجع السابق.- ص ١٠٣.

(٣١) وليد نويهض. «**نهاية الاستشراق**».- مرجع سابق.- ص ١٨.

(٣٢) إدوارد سعيد أستاذ أمريكي من أصل فلسطيني، درّس في جامعة كولومبيا بنيويورك. وله كتابات متعددة حول نظرة الغرب إلى الإسلام منها (تغطية الإسلام) و(فهم الإسلام) وغيرها، وهو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، ويذكر أنه يقيم الآن في القدس، ويواصل نشاطه الصحفي في المجال نفسه.

(٣٣) إدوارد سعيد. **الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء**.- نقله إلى العربية كمال أبو ديب.- ط٢.- قم (إيران): دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م.- ص٣٢٤.

(٣٤) يقول "مكسيم رودنسون" في مقابلة معه في مجلة الحوادث (ع ٢٣، ديسمبر ١٩٨٠م): «في الحقيقة أن إدوارد سعيد يجهل موضوع الاستشراق أولاً، وهو غير متمكن منه بشكل جيد ... إنه انساق مع ما يناسبه واختار ما يلائم قصده، فتجاهل المستشرقين والمدارس الاستشراقية التي لا تنسجم مع ذلك». ولعل "إدوارد سعيد" قد اتخذ في هذا قدوة له من بعض المستشرقين.

ويقول نديم البيطار في نقده لعمل "إدوارد سعيد": « عرض مفهوم إدوارد سعيد حول الاستشراق كاف في ذاته في الكشف عن اللاعلمية البارزة التي تميزه. هذا المفهوم ينطبق ولا شك على قطاعات مجموعات استشراقية أو أفراد ساهموا بقدر كبير أو صغير في الفكر الاستشراقي، ولكنه لا ينطبق على الاستشراق ككل، وجميع الذين شاركوا فيه...». انظر: نديم البيطار. **حدود الهوية القومية** : نقد عام.- بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م.- ص ١٥٩.

(٣٥) انظر مثلاً: نعمان عبد الرزاق السامرائي. **الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د. محمد أركون ود. إدوارد سعيد**.- الرياض: دار صبرى للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ١٦٠ص. و محمود قاسم. «الاستشراق: المعرفة السلطة الإنشاء بقلم إدوارد سعيد ترجمة كمال أبو ديب»، وعدنان المبارك. «آراء بولندية في كتاب إدوارد سعيد: الاستشراق»، وكامل يوسف حسين. «خصائص النص الاستشراقي في وضعية النزاع: ملاحظات أولية حول سجال برنارد لويس وإدوارد سعيد». في: **الاستشراق** ع٢ (شباط ١٩٨٧م) ص ١٠٥-١٣١.

(٣٦) أبو الحسن علي الحسني الندوي، بسكون الدال، من علماء العربية في الهند. تخرج في ندوة العلماء بلكهنو بالهند، وإليها ينتسب. له إسهامات جيدة في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ويرأس الآن رابطة الأدب الإسلامي.

(٣٧) أبو الحسن علي الحسني الندوي. **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المسلمين في الموضوعات الإسلامية**.- ط٣.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ص١٦.

(٣٨) أبو الحسن علي الحسني الندوي. **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين**...- المرجع السابق.- ص١٥.

(٣٩) وليد نويهض. «**نهاية الاستشراق**».- مرجع سابق.- ص ١٨.

(٤٠) إبراهيم عبد الكريم. **الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل**.- عمَّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٣م.- ص١٩٦.

(٤١) ج. ج. لوريمر عمل موظفًا سياسيًا في منطقة الخليج العربية، وألف كتابًا ضخمًا سماه (دليل الخليج) أو (وقائع الخليج) Gazetter of Persian Gulf نشرته حكومة الهند في كلكتا سنة ١٩٥١م. انظر: عبد الفتاح أبو علية. الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠-١٨٩١م.- الرياض: مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، د.ت.- ص ١٩.

(٤٢) عمر بن صالح السليمان العمري. **التطور السياسي للبحرين ١٨٠٠-١٨٩٢، ١٢١٥-١٣٠٩**. رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.- ص ١٤.

(٤٣) William Gifford Palgrave. Narrative of a Year's Journey Through central and Eastern Arabia (1862-1863).- 2 vols.- London:..., 1965.

(٤٤) Lady Anne Blunt. Pilgrimage to Nejd: a Visit to the Court of the Arab Amir and our persian campaign.-2vols.- 2nd. ed.-London: John Murray,1881

(٤٥) ج. فورستر سادلير. **رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م**.- ترجمها أنس الرفاعي.- الكويت: سعود بن غانم الجمران العجمي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.- ٣٠٠ ص.

(٤٦) نقلاً عن: سمير عطا الله. **قافلة الحبر**.- مرجع سابق.- ص ٤٧.

(٤٧) وليد نويهض. «نهاية الاستشراق (٣ من٣): الطبعة الثانية تتوجت بغلبة نظرية التفوق الحضاري».- صحيفة الحياة اليومية ع ١١٥٤٦ -٤-١٤١٥هـ/ ٢٨-٩-١٩٩٤م).- ص ١٨.

(٤٨) انظر مقدمة "حمد الجاسر" في: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم.- مرجع سابق.- ص ٥- ٧.

(٤٩) تشمل الأسماء اللامعة في أدب الرحلات، لا سيما في الجزيرة العربية، كلاً من كريستيان سنوك هورخرونيه، وريتشارد بورتون، وكارستن نايبور، ولويس بوركهارت، ووليم غيفورد بالغريف، ومايكل كوهين، وتشارلز داوتي (خليل)، وتي.إي. لورانس، والكونتيسة مالميفواتي، وجورج أوغست والان (عبد الولي)، وشارل ديديه،ولويس بيلي، وبرترام توماس، وهاري سانت جون فيلبي (عبد الله)، وبيتر (بطرس) فورسكال، وكريستيان كارل كريمر، وغيورغ فيلهلم بورينفانيد، وكريستيان فون هافن، ولودفيكو دي فارتيما، وماثيو دي كاسترو، وماركو بولو، وأولريك ياسبر ستزن (موسي)، والميجور روك، وهيو كليفورن، وولف، وتي. جي. أرنو، وجوزف هاليفي، ووالتر هاريس، وشاتوبريان، واللورد بايرون، وويلفرد سكاوين بلانت وزوجته الليدى أن، ولويس فارتيما البولوني (يونس)، وفان نون بروكه، وديكسيتر، ودومينغو باديا أي ليبليخ (الحاج علي بك العباسي)، وفنسان لبلان، وشاربيه، وجون جوردان، وستزن، وتاميزيه، وغوارماني. وهؤلاء جزء ممن ورد ذكرهم في: سمير عطا الله. **قافلة الحبر**.- مرجع سابق.- ص ٥-٦٤، وفي: جاكلين بيرين.**اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم**.- مرجع سابق.- ٤٣٤ ص. وفي: James C. Simmons, ed. Passionate Pilgrims: English Travelers to the World of the Desert Arabs.- New York : William Morrow and Company, Inc.,1987.-399 p.

(٥٠) انظر جملة من هذه الانطباعات في: James C. Simmon. Passionate Pilgrims: English Travelers to the World of the Desert Arabs.- ibid.

ويتضمن هذا الكتاب جملة من التحليلات لرحلات كل من نابليون في مصر، والليدى هيستر ستانهوب، وأي. دبليو. كينغليك، والسير ريتشارد بورتون، والأب وليام بالغريف، والليدي جين دغبي المسراب(!)، والسير ولفريد سكاون بلانت، والليدي آن بلانت، وتشارلز إم. داوتي، وتي. إي. لورنس. كما يشتمل الكتاب على قائمة وراقية (ببليوجرافية) مختارة تفيد كثيراً في متابعة أدب الرحلات إلى الجزيرة العربية والبلاد العربية الأخرى.

(٥١) نقلاً عن: سمير عطا الله. قافلة الحبر.- مرجع سابق.- ص ٤٧.

(٥٢) علي بن إبراهيم النملة. **التنصير في الأدبيات العربية**.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.- ص ٤٤-٤٥.

(٥٣) جاكلين بيرين. **اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم**.- مرجع سابق- ٤٣٤ص.

(٥٤) نقلاً عن خالد البسام. **القوافل : رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٦٢**.- ترجمة وإعداد خالد البسام.- البحرين: مؤسسة الأيام، ١٩٩٣م.- ص٩.

(٥٥) صموئيل زويمر منصر و مستشرق أمريكي معروف في منطقة الخليج والمنطقة العربية، وأنشأ مجلة تعنى بالشئون الإسلامية من وجهة نظر استشراقية تنصيرية. ويعد زويمر مثالاً واقعياً للترابط بين الاستشراق والتنصير. توفي سنة ١٩٥٢م. انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- مرجع سابق.- ٣ : ١٣٨.

(٥٦) فرد هاليداي. **المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية**.- ط٢.-تعريب وتعليق محمد الرميحي.- الكويت: شركة كاظمة، ١٩٧٧م.- ص ٧.

(٥٧) ساسي سالم الحاج. **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**.- جزآن.- مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م.- ص ٦٤.

(٥٨) محمود المقداد. **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٢م.- ص ١٣٠-١٤٢.- (سلسلة عالم المعرفة/١٦٧).

(٥٩) نابليون بونابرت الأول قائد فرنسي احتل مصر، وكان قد أحضر معه مجموعة من المستشرقين إليها ليجادلوا علماء المسلمين، ودخل الأزهر، وحاول احتلال الشام. حياته حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية، وقد نفي إلى سنت هيلانة حيث مات هناك بالسرطان سنة ١٨٣١م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة.- القاهرة: دار الشعب، د.ت.- ص ١٨١٢.

(٦٠) محمود مقداد. **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**.- المرجع السابق.- ص ١٨٨.

(٦١) من الآية ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ الآية من سورة التوبة، وحديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم

- عن عبدالله بن زيد -رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة». رواه البخاري ومسلم وعبد بن حميد وأبو عوانة والطحاوي والبيهقي. انظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي. **الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: جمعًا ودراسة**.- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.- ص ٤٩.

(٦٢) أولريش جاسبر زيتسن مستشرق ورحالة ألماني تنقل بين مصر والحجاز واليمن والشام وفلسطين، وجمع مخطوطات وأودعها بالمكتبة الدوقية بجوتا، وكتب رسائل عن رحلاته إلى هامر-بروجشتال، وله آثار منها (**أشعار في سوريا وفلسطين وبلاد ما وراء الأردن وبلاد العرب ومصر السفلى**). توفي في اليمن سنة ١٨١١م. انظر: عبد الرحمن بدوي. **موسوعة المستشرقين**.- ط٣.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.- ص ٣٣١.

(٦٣) « حمد علي حشيشو. «الرحالة الألمان إلى البلاد العربية».- في: **المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**.- دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجِّد.- ط٢.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.- ص٧٩-٩٢.

(٦٤) معن خليل عمر. «التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي».- في: **الاستشراق** ع١ (كانون الثاني ١٩٨٧م)، ص ٢٩-٣٤. (سلسلة كتب الثقافة العربية-١).

(٦٥) ينقل محمود المقداد عن عفيف بهنسي في كتابه أثر العرب في الفن الحديث قوله إن "فولتير": «يعترف أنه لم يزاول فن القصص إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة. وأوضح لوبون G. Lebon أن هذا الكتاب ألقى نورًا ساطعًا على العرب والشرق، وعلى الناحية الإيجابية لخصائصهم، بل لقد أثار في نفوس الغربيين السعي للتعرف على الشعوب التي كانت وراء هذا الأثر العظيم. وقد لا يكون من المبالغة القول إن هذا الكتاب كان أول الطريق إلى الاستشراق وانتشار حركته في الغرب». انظر: محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا.- مرجع سابق.- ص ١٤٦-١٤٧.

(٦٦) هارون الرشيد بن أبي جعفر المنصور، الخليفة العباسي المشهور، «كان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء ويعظم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وُعِظ». وقد توفي بإحدى غزواته بخراسان سنة ١٩٣هـ. انظر: محمد بن شاكر الكتبي. فوات الوفيات والذيل عليها.- ٥ مج.- تحقيق إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤م.- ٤: ٢٢٥-٢٢٧.

(٦٧) بول هاريسون أحد الأطباء الأمريكيين الذين قدموا المنطقة في بعثة تنصيرية بدأت سنة ١٨٩٤م. انظر: روبن بدول. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية.- ترجمة عبد الله آدم نصيف.- الرياض: المترجم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ص ١٩٤.

(٦٨) هاريسون. **رحلة طبيب في الجزيرة العربية**.- ترجمة محمد أمين عبد الله.- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.-١١٥ص.

وقد أحسنت وزارة التراث القومي والثقافة حينما سعت إلى ترجمة مجموعة من آثار الرحالة المستشرقين وغيرهم ممن تحدثوا عن سلطنة عُمان وغيرها مما له علاقة بها، ثم نشرها. ومن هذه الإصدارات الكتاب المذكور، ومنها في سلسلة تراثنا:

هجرات الحرث إلى لواسط القارة الأفريقية لكوليت جراند ميزون، ١٩٨٤م، **وبنو الجلندي في عُمان** لج. سي. ولكنسن، ١٩٨٢م، **وحصن جبرين: تحفة رائعة من العمارة العُمانية في القرن السابع عشر**، ١٩٨٣م. **ودراسة لآثار عمان** لبياتريس دي كاردي ودونالد س. وتكومب، ١٩٨٣م. **والعمانيون: حكمهم وأمثالهم الشعبية** جمعها آي. إس. جي. جايكار، ١٩٨٠م. **وصُحار عبر التاريخ** لأندرو ويليامسون، ١٩٨٢م، **والصناعات الفضية في عُمان** لروث هولي، ١٩٨٢م. **والاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعُمان عبر التاريخ** لتشانغ يان، ط٢. **ومن البيئة العمانية** لتي. جي. ولكونسون وديفد ل. هاريسون، ١٩٨٣م، **وصُحار: تاريخ وحضارة** لجون ولكونسون، ط٢، **ورحلة السندباد** لتيم سفرن، ترجمة سامي عزيز،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. **وفي أعقاب السندباد** لتيم سيفيرين، ١٩٨٢م. **ولمحة تاريخية عن المباني الأثرية في مسقط** لروث هولي، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط٢، **ورحلة إلى عمان** لويندل فيليبس، ترجمة محمد أمين عبد الله، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، **وتاريخ عمان** لويندل فيليبس، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، وغيرها مما اهتمت وزارة التراث القومي والثقافة بإخراجه منقولاً إلى العربية.

(٦٩) فرد هاليداي. **المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية**.- مرجع سابق.- ص ٦١.

(٧٠) انظر مثلاً: عبد الرحمن بن سليمان الرويشد. **(الوهابية: حركة الفكر والدولة الإسلامية)**.- ١٣٩٨هـ. وللشيخ سليمان بن سحمان كتاب سماه **(الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية)**، وألف عبد الله القصيمي في بداية عهده كتابًا تحت عنوان **(الثورة الوهابية)**، كما كتب أحمد الفقي كتابًا أطلق عليه عنوان **(الوهابيون والحجاز)**، ولعبدالله بن صالح العثيمين بحث بعنوان: «الحركة الوهابية ومحاولة توحيد جزيرة العرب»، ومع هذا يظل هذا الاصطلاح موحيًا بالذم لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي رميت بهذا قصدًا إلى الإساءة إليها، وإلصاق التهم بها، ومنها القرصنة في الخليج. انظر: ج. فورستر سادلير. **رحلة عبر الجزيرة العربية خلال**

عام ١٨١٩م.- مرجع سابق.- ص ٧. وانظر الدفاع عن هذه النقطة من الناشر ص ١٨٧.

(٧١) لي ديفيد كوبر. **كتابات الرحالة الأجانب كمرجع لدراسة الحركة الوهابية في القرن التاسع عشر الميلادي**. ترجمة وتعليق عبدالله بن ناصر الوليعي.- الرياض: سهاج للإعلام والنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.- ص خ-ر.

(٧٢) المرجع السابق.- ص ٢٣.

(٧٣) المرجع السابق.- ص ٥٧.

(٧٤) ريتشارد هرير دكمجيان مستشرق أمريكي معاصر من أصل شامي، ومن مواليد حلب، وهو أستاذ في العلوم السياسية بجامعة نيو يورك، ومحاضر في شئون الشرق الأوسط في معهد الخدمات الخارجية بوزارة الخارجية، وله من الكتب **(أنماط القيادة السياسية)** و**(مصر تحت حكم عبد الناصر)**. انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**.- ط٣.- ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد.- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ص ٥.

(٧٥) ريتشارد هرير دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**.- المرجع السابق.- ص ٥٨-٦٣.

(٧٦) ريتشارد هرير دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**.- المرجع السابق.- ص ٤٤-٤٧. ويعلق المترجم على هذا التصنيف بقوله: «إن الإسلام واحد لا يتعدد، وإنما الذي يتعدد هو أفهام الناس وما يكونونه من تصورات عن الإسلام، وما يحددونه لأنفسهم فيما يأخذونه منه وما يدعون».

ص ٤٧. وانظر مناقشة هذه التصنيفات عند: مازن صلاح المطبقاني. **الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة**.- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤٠٩هـ.- ص ١٣-٢٤.

(٧٧) ألقى المستشرق الألماني "راينهارد شولتز" أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بون بألمانيا محاضرة بجامعة "برنستون" بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٤٠٨هـ، بعنوان «الإسلام السياسي في القرن العشرين» تحدث فيها عن وجود إسلام سياسي وإسلام آخر يهتم بالسلوك اليومي للمسلم. انظر: مازن صلاح المطبقاني. **من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر**.- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، (١٤٠٩هـ).- ص ١٩

(٧٨) ألقى الأستاذ أحمد بن يوسف محاضرة في المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم العربي في إنديانا سنة ١٩٨٨م بعنوان «الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر». انظر: مازن صلاح المطبقاني.- **من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر**.- المرجع السابق.- ص ٤٣-٤٤.

(٧٩) فولني مستشرق ورحالة فرنسي، عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، وله غير الكتاب المذكور كتاب آخر بعنوان **(نظرات في الحرب الراهنة للأتراك)** كتبه عام ١٧٨٨م. انظر: ساسي سالم الحاج. **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**.- مرجع سابق.- ص٦٧-٦٩.



(٨٠) ساسي سالم الحاج. **الظاهرة الاستشراقية...**- المرجع السابق.- ص ٦٨.

(٨١) يعيد فولني سبب الانحطاط في الحياة المصرية عامة إلى الأثر الذي خلفه الحكام المماليك في الحياة المصرية عامة، ويؤكد على أثرهم في تخلف الأقباط سلالة الفراعنة، بالإضافة إلى انتشار الإسلام نفسه في مصر. انظر: ساسي سالم الحاج. **الظاهرة الاستشراقية**.- المرجع السابق.- ص ٦٨.

(٨٢) قاسم السامرائي. **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ.- ص ٥٢.

(٨٣) ساسي سالم الحاج. **الظاهرة الاستشراقية**.- مرجع سابق.- ص ٦٩-٧٠.

(٨٤) خوان غويتسولو مستشرق إسباني معاصر، لم أعثر له على ترجمة في مظانه، وكان من المنتظر أن يترجم له من ترجم كتابه، لكنه فيما يبدو لم يفعل.

(٨٥) دومينغو باديا رحالة إسباني انطلق إلى الشرق الإسلامي سنة ١٨٠٣م، وتسمى بعلي بك العباسي، واعتقد بعض المتابعين أنه جاسوس إسبانيا لنابليون، وقيل إنه أحد موظفي إمارة البحر الفرنسية، وقد قام بوصف دقيق للأماكن التي مر بها، وقام بنشر سفراته في باريس سنة ١٨١٤م، وفي لندن سنة ١٨١٦م، وغادر دمشق سنة ١٨١٨م ليعود ثانية إلى مكة المكرمة، حيث توفي بعد مغادرته دمشق بالزحار أو بالتسميم. انظر: جاكلين بيرين. **اكتشاف جزيرة العرب**.- مرجع سابق.- ص ١٨٤-١٨٦.

(٨٦) ساسي سالم الحاج. **الظاهرة الاستشراقية**.- مرجع سابق.- ص ٦٣-٨١.

(٨٧) كريستيان سنوك هورخرونيه مستشرق هولندي، رسالته العلمية كانت عن "موسم الحج في مكة" انتهى فيها إلى أن الحج في الإسلام من بقايا الوثنية العربية، سافر إلى مكة المكرمة، وأقام فيها ستة أشهر باسم "عبد الغفار"، حتى طرد منها، ثم عمل في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية في إندونيسيا. وتوفي سنة ١٩٣٦م، وكانت ولادته سنة ١٨٥٧م. انظر: عبد الرحمن بدوي. **موسوعة المستشرقين**.- مرجع سابق.- ص٣٥٣-٣٥٥.

(٨٨) قاسم السامرائي. **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**.- مرجع سابق.- ص ١١٤- ١٣٧.

(٨٩) ك. سنوك هورخرونيه. **صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري**.- ج٢.- نقله إلى العربية وعلق عليه محمد بن محمود السرياني ومعراج بن نواب مرزا، راجعه محمد إبراهيم أحمد علي.- مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.- ٥٦٤ص.

(٩٠) ك. سنوك هورخرونيه. **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**.- المرجع السابق.- ص ٣١.

(٩١) قاسم السامرائي. **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**.- مرجع سابق.- ص ١١٠-١٣٧.

(٩٢) غوستاف فلوبير لم أعثر له على ترجمة في مظانه.

(٩٣) إدوارد سعيد. **الاستشراق**.- مرجع سابق.- ص١٢٦-١٢٧.

(٩٤) خوان غويتسولو. **في الاستشراق الإسباني**.- مرجع سابق.- ص ١٢٠.

(٩٥) إدوارد وليم لين مستشرق إنجليزي، برع في الرياضيات، ورحل إلى مصر، وأقام في القاهرة، وتزيًا بالزي العربي مصليًا بالجوامع متسميًا بمنصور أفندي. وكان قد عزم على دراسة قدماء المصريين، إلا أنه وجد في المعاصرين ما صرفه عن القدماء، فكتب عنهم كتابه المشهور (**أخلاق وعادات المصريين المعاصرين**)، في مجلدين. توفي سنة ١٨٧٦م. انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- مرجع سابق.- ٢:٥٤-٥٥.

(٩٦) إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص١٣٥.

(٩٧) عدلي طاهر نور. «المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين -١-».- **الرسالة** مج ٩، ع ٤٢٤ (٢٥-٧-١٣٦٠هـ/١٨-٨-١٩٤١م).- ص ١٠٤٢-١٠٤٥. إلى مج ١١، ع ٥٠٦ (٩-٣-١٣٦٢هـ/ ١٥-٣-١٩٤٣م).- ص ٢٥٤-٢٥٦.

(٩٨) إدوارد سعيد. **الاستشراق**.- مرجع سابق.- ص١٧٧.

(٩٩) محمد عبد الغني حسن.. «إدوارد وليم لين صوّر المجتمع المصري في القرن التاسع عشر».- الهلال مج ٤، ع١ (المحرم-١٣٩٦هـ/يناير-١٩٧٦م).- ص٣٢-٣٨.

(١٠٠) يوهان لودفيج (جون لويس) بوركهارت مستشرق سويسري، درس في ألمانيا، وسافر إلى إنجلترا، وعمل مع الجمعية الأفريقية البريطانية، وقضى بمكة المكرمة ثلاثة أشهر، وخرج من هذا بكتابه رحلات في شبه جزيرة العرب، بالإضافة إلى كتب أخرى في الرحلات في بلاد الشام وبلاد النوبة. وقد عده العقيقي من المستشرقين الإنجليز، لأنه حاز على الجنسية البريطانية. انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- مرجع سابق.- ٢:٥٢.

(١٠١) جون لويس بوركهارت. **رحلات في شبه جزيرة العرب**.- ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي و عبد الرحمن عبد الله الشيخ.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. ص ١٠.

(١٠٢) المرجع السابق.- ص ١٠.

(١٠٣) المرجع السابق.- ص ١٠.

(١٠٤) كارستن نايبور دانمركي من مواليد ألمانيا، ينحدر من عائلة فقيرة تعمل بالفلاحة في فريسلاند، تخرج نايبور مساحًا وأحب الرياضيات والهندسة ، وتعلم شيئًا من العربية، وتوفي سنة ١٨١٥م. ويعد أول رحالة غربي وصل إلى الجزيرة العربية. انظر: روبن بدول.

الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية.- مرجع سابق.- ص ٣٥-٤٣. وانظر أيضًا: سمير عطا الله. **قافلة الحبر**.- مرجع سابق.- ص ١٩.

(١٠٥) محمد علي حشيشو. «**الرحالة الألمان إلى البلاد العربية**».- مرجع سابق.- ص ٧٩-٩٢.

(١٠٦) إرنست رينان مستشرق فرنسي، برز في المدارس اللاهوتية، وتضلع من اللغات الشرقية، ونزل لبنان، وعني بالعقائد الإسلامية، ومن آثاره الكثيرة (**تاريخ اللغات السامية**)، ومقالة «طابع الشعوب السامية». وتوفي سنة ١٨٩٢م. انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- مرجع سابق.- ١٩١:١.

(١٠٧) إدوارد سعيد، **الاستشراق** .- مرجع سابق.- ص ١٦٧.

(١٠٨) نقلاً عن: لوي غارديه ومحمد أركون. **الإسلام الأمس والغد**.- بيروت: دار التنوير، ١٩٨٢م.- ص ٧٦، ونقلاه عن فانسان مونتاي. **مفاتيح الفكر العربي**. ونقله عنهما محسن جاسم الموسوي. **الاستشراق في الفكر العربي**.- مرجع سابق.- ص ٣٢.

وقد وقف مع هذه الآراء مجموعة من المفكرين، ومنهم محمد إبراهيم الفيومي في: **الاستشراق: رسالة الاستعمار**.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.- ص ٢٣٨-٢٤٤. وانظر أيضًا: أحمد حسن عبد الرحيم. «المستشرق الفرنسي إرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة».- في: **الاستشراق**.- ع ٢(شباط ١٩٨٧م).- ص٣٩-٤٢.- (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

(١٠٩) من كلمة للحبيب الشطي في: مارسيل بوازار. **الإسلام اليوم**.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.- ص ٣٥.

(١١٠) كارل ماركس من مواليد ترير بألمانيا سنة ١٨١٨م، ومؤسس الفكر الاشتراكي مع فريدريخ إنجلز، ورئيس الجمعية العالمية للعمال، وتنقل بين المدن الأوربية، وقد أدت أفكاره الاشتراكية إلى قيام الشيوعية المعاصرة. وتوفي سنة ١٨٨٣م. انظر: **Funk and Wagnals New Encyclopedia**.- 27 vols.- New york: Funk .and Wagnals, 1975.-16:56-57

(١١١) إدوارد سعيد. **الاستشراق**.- مرجع سابق.- ص ١٧١.

(١١٢) المرجع السابق.- ص ١٧١.

(١١٣) جاك بيرك تخرج في باريس، وعمل في المغرب ومصر ولبنان، ثم عمل أستاذًا في التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا فمديرًا لمعهد الدراسات العليا. وله عدة آثار في الأدب والتاريخ والاجتماع. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣٣٦:١-٣٣٨.

(١١٤) معن خليل عمر. «التباين الثقافي بين المستشرقين والمجتمع العربي».- مرجع سابق.- ص ٣٢-٣٣.

(١١٥) المرجع السابق.- ص ٣٣.



(١١٦) ر. ب. سارجنت مستشرق إنجليزي، وتعلم في أدنبره وكمبريدج، وانتدب باحثًا لشئون جنوب الجزيرة العربية بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، ومنقبًا في جنوب الجزيرة العربية، وله في هذا عدة آثار. انظر: نجيب العقيقي. **المستشرقون**.- مرجع سابق.- ٢:١٤١-١٤٢.

(١١٧) عبد اللطيف الطيباوي. **المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية**.- ترجمة وتقديم قاسم السامرائي.- الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.- ص ١١٣.

(١١٨) خالد البسام. **القوافل**.- مرجع سابق.- ص٨٣.

(١١٩) وهذا المعيار مستقًى من قوله تعالى: **[ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم]**. الآيتان ٢٧-٢٨ من سورة النور.

(١٢٠) إدوارد سعيد. **الاستشراق**.- مرجع سابق.- ص ١٧٣.

(١٢١) المرجع السابق.- ص ١٣١.

(١٢٢) محمد علي حشيشو. «الرحالون الألمان إلى البلاد العربية».- مرجع سابق.- ص ٩٢.

(١٢٣) انظر في مناقشة فكرة التتبع هذه: نديم البيطار. **حدود الهوية القومية**.- مرجع سابق.- ص ١٥٧-١٥٨.

(١٢٤) عبد الوهاب أبو حديبة. «الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين».- في: **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**.- مجلدان.- الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ٢:١٤٠.

(١٢٥) من الآية ١٥٨ في قوله تعالى: **[قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا]** من سورة الأعراف.

(١٢٦) «أدب الرحلات».- في: **الاستشراق** ع ٢.(شباط ١٩٨٧م).- ص ٩٨-١٠٠.- (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

(١٢٧) هناك افتراض يقول: إن كل منصر مستشرق، وليس كل مستشرق منصرًا، إذ إن المنصر يطالب بالتعرف على البيئة التي يرسل إليها، ومن ذلك تعرفه على الثقافات والخلفيات التي يتصرف المجتمع بموجبها، وغالبًا ما يسجل المنصر انطباعاته عن هذا المجتمع أو غيره بمعزل عن التطويع للمعيار الذي يسير المجتمع بموجبه. انظر: علي بن إبراهيم النملة. **التنصير في الأدبيات العربية**.- مرجع سابق.- ص٥١-٥٢.

(١٢٨) خالد البسام. **القوافل**.- مرجع سابق.- ص١١٣.

(١٢٩) خالد البسام. **القوافل**.- المرجع السابق.- وفيه جمع من الانطباعات عن منطقة الخليج العربية



سطّر أصلها باللغة الإنجليزية كل من المنصرين الآتية أسماؤهم: جيمس موريديك، وشارون توماس، وجيمس كانتين، وصموئيل زويمر، واليزابيث كانتين، وستانلي ميلري، وتايرا جوسلين، وآرثر بينيت، واليانور تيلور، وجي. بينينجس، وهول فان، وإدوين كالفيري، وفان بويرسم، وبول هاريس، ولويس ديم، وكورنيلاد الينبرج، وقد غطت هذه الانطباعات من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩٢٦م.

(١٣٠) انظر، مثلاً، إلى تعليقات عبد العزيز الهلابي وعبد الرحمن الشيخ على كتاب بوركهارت **رحلات في شبه جزيرة العرب**.- مرجع سابق، وتعليقات سعود ابن غانم العجمي على كتاب **رحلة عبر الجزيرة العربية**.- مرجع سابق، ففيها وقفات مفيدة في التعامل مع المعلومات التي أوردها المستشرقون الرحالة.

قائمة بالمراجع الأساس

إبراهيم عبد الكريم.

الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل.- عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٣م.- ٥٩٨ ص.

أحمد حمد عبد الرحيم. «المستشرق الفرنسي إرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة».- في: الاستشراق.- ع ٢(شباط ١٩٨٧م).- ص ٣٩-٤٢.- (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

إدوارد سعيد.

الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء.- نقله إلى العربية كمال أبو ديب.- ط٢.- قم (إيران): دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م.- ٣٦٧ ص.

تشارلز بلجريف. [السير].

مذكرات بلجريف مستشار حكومة البحرين سابقًا.- ترجمة مهدي عبدالله.- بيروت: دار البلاغة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.-٣٩١ ص.

ج. فورستر سادلير.

رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م.- ترجمها أنس الرفاعي.- الكويت: سعود بن غانم الجمران العجمي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.- ٣٠٠ ص.

جاكلين بيرين.

اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم.- نقله إلى العربية قدري قلعجي.- قدم له الشيخ حمد الجاسر.- بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.- ٤٣٤ ص.

جوستاف بغانملر.

سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تصورات المستشرقين.- ترجمة محمود حمدي

زقزوق.- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.- ٥٦ ص.

جون لويس بوركهارت.

رحلات في شبه جزيرة العرب.- ترجمة عبد العزيز ابن صالح الهلابي وعبد الرحمن عبد الله الشيخ.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. ٤٤٨ ص.

James C. Simmons, ed. Passionate Pil-grims: English Travelers to the World of the Desert Arabs.- New York: William Morrow and Company, Inc.,1987.-399 p.

ابو الحسن علي الحسني الندوي.

الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المسلمين في الموضوعات الإسلامية.- ط٣.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ٨٢ ص.

خالد البسام، مترجم ومعد.

القوافل: رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦م.- البحرين: [مؤسسة الأيام للصحافة والنشر]، ١٩٩٣م.- ٢٠٦ ص.

خوان غويتسولو.

في الاستشراق الإسباني.- تعريب كاظم جهاد.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.- ٢٥٦ ص.

روبن بدول.

الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية.- ترجمة عبدالله آدم نصيف.- الرياض: المترجم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ٢٠٣ ص.

ريتشارد هرير دكمجيان.

الأصولية في العالم العربي.- ط٣.- ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد.- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.- ٣٠٨ ص.

ساسي سالم الحاج.

الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية.- جزآن.- مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م.- ٦٧٢ ص.

سمير عطا الله.

قافلة الحبر: الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢-١٩٥٠م).- بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ٣٤٨ ص.

عبد الرحمن بدوي.

موسوعة المستشرقين.- ط٣.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.- ٦٤٠ ص.

عبد الوهاب أبو حديبة. «الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين».- في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.- مجلدان.- الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.- ٢: ١٤٠.

عدلي طاهر نور.

«المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين -١-».- الرسالة



مـج ٩، ع ٤٢٤ (٢٥ - ٧ - ١٣٦٠هـ/ ١٨ - ٨ -١٩٤١م).- ص ١٠٤٢-١٠٤٥، إلى مج ١١، ع ٥٠٦ (٩-٣-١٣٦٢هـ/١٥-٣-١٩٤٣م).- ص ٢٥٤-٢٥٦.

علي بن إبراهيم النملة.

الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب.- الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.- ٢٧٠ ص.

علي بن إبراهيم النملة.

التنصير في الأدبيات العربية.- الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.- ٢٧٢ ص.

علي بن إبراهيم النملة.

«كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف».- في: **دراسات استشراقية وحضارية**: كتاب دوري محكم.- ع١.- المدينة المنورة: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.- ص ١٩-٦٠.

علي بن إبراهيم النملة.

مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.- ٥٥ ص.

علي حسني الخربوطلي.

المستشرقون والتاريخ الإسلامي.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.- ١٣٧ ص.- (سلسلة تاريخ المصريين/١٥).

عمر فروخ.

«الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة».- في: الإسلام والمستشرقون. تأليف نخبة من العلماء المسلمين.- جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ص ١٢٥-١٤٣.

فرد هاليداي.

المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية.- ط٢.-تعريب وتعليق محمد الرميحي.- الكويت: شركة كاظمة، ١٩٧٧م.- ٢٩٦ ص.

فينزينزو، الرحالة الإيطالي الملقب بالشيخ منصور.

تاريخ السيد سعيد سلطان عمان، ومعه تاريخ الشعوب والأقطار على سواحل الخليج العربي.- ترجمة محمود فاضل.- بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨م.- ١٦٨ ص.

قاسم السامرائي.

الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ.- ١٦٨+ ١٩ص.

ك. سنوك هورخرونيه.

صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري.- ج٢.- نقله إلى العربية وعلق عليه محمد بن محمود السرياني ومعراج بن نواب مرزا، راجعه محمد إبراهيم أحمد علي.- مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.- ٥٦٤ص.



لي ديفيد كوبر.

كتابات الرحالة الأجانب كمرجع لدراسة الحركة الوهابية في القرن التاسع عشر الميلادي. ترجمة وتعليق عبد الله بن ناصر الوليعي.- الرياض: سهاج للإعلام والنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.- ٩٤ ص.

مارسيل بوازار.

الإسلام اليوم.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.- ٣٣١ ص.

مازن صلاح المطبقاني.

من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر.- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، (١٤٠٩هـ).- ٥٦ ص.

محسن جاسم الموسوي.

الاستشراق في الفكر العربي.-بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.- ٢٠٦ ص.

محمد إبراهيم الفيومي.

الاستشراق: رسالة الاستعمار.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.- ٤٦٨ ص.

محمد عبد الغني حسن. «إدوارد وايم لين صوّر المجتمع المصري في القرن التاسع عشر».- الهلال مج ٤، ع١ (المحرم/١٣٩٦هـ- يناير/١٩٧٦م).- ص٣٢-٣٨.

محمد عبد الله مليباري.

المستشرقون والدراسات الإسلامية.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

محمد علي حشيشو.

«الرحالة الألمان إلى البلاد العربية».- في: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية.- دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجِّد.- ط٢.-بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.- ص ٧٩-٩٢.

محمود حمدي زقزوق.

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- ط٢.- القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ١٨٧ ص.

محمود المقداد.

تاريخ الدراسات العربية في فرنسا.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.- ٢٨٥ ص. (سلسلة عالم المعرفة/١٦٧).

معن خليل عمر. «التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي».- في: الاستشراق ع١ (كانون الثاني ١٩٨٧م)، ص ٢٩-٣٤. (سلسلة كتب الثقافة العربية/١).

نجيب العقيقي.

المستشرقون.- ٣ مج.- ط ٤.- القاهرة: دار المعارف، [١٩٨٠م].

نديم البيطار.

حدود الهوية القومية: نقد عام.- بيروت: دار

الوحدة، ١٩٨٢م.- ٣١٠ ص.

هاريسون. [بول]

رحلة طبيب في الجزيرة العربية.- ترجمة محمد أمين عبد الله.- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.-١١٥ ص.

هاشم صالح، معد و مترجم.

الاستشراق بين دعاته ومعارضيه.- بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ١٦٢ص.

وليد نويهض «نهاية الاستشراق، ١- بدأ عن طريق النقل وتجار القوافل وتطور في ساحات الصدام».- **صحيفة الحياة اليومية**.- ع ١١٥٤٥ (٢٧-٩-١٩٩٤م/٢١-٤-١٤١٥هـ) .- ص ١٨.

وليد نويهض. «نهاية الاستشراق (٢ من ٣): الطبعة الثانية تتوجت بغلبة نظرية التفوق الحضاري».- **صحيفة الحياة اليومية** ع ١١٥٤٦ (٢٣-٤-١٤١٥هـ / ٢٨-٩-١٩٩٤م).- ص ١٨.

وليد نويهض. «نهاية الاستشراق، ٣- تطور الاتصالات أنهى وظيفة الاستشراق المعرفية».- **صحيفة الحياة اليومية**.- ع ١١٥٤٧ (٢٩-٩-١٩٩٤م/٢٤-٤-١٤١٥هـ).- ص ١٨.

ويلفرد ثيسجر. الملقب مبارك بن لندن.

الرمال العربية.- [ترجمة إبراهيم مرعي، مراجعة معن أبو الحسن].- ط ٢.- أبو ظبي: موتف أ.ت للنشر، ١٩٩٢م.- ٣٤٥ ص.


شبكة
الألوكة